وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة غرداية

كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية

قسم التاريخ

فقهاء المالكية وموقفهم من الوجود الفاطمي في بلاد المغرب الإسلامي

مذكّرة مقدمة لاستكمال متطلّبات نيل شهادة الماستر في التاريخ

تخصص: تاريخ الغرب الإسلامي في العصر الوسيط

إعداد الطالب:

لخضر سارق

إشراف الأستاذ:

د/ عبد الجليل ملّاخ

المشرف المساعد:

د/ حسين شنينة

أعضاء لجنة المناقشة:

الأعضاء	الرتبة	الصفة	الجامعة
يمينة بن صغير حضري	أستاذ التعليم العالي	رئيسا	جامعة غرداية
عبد الجليل ملّاخ	محاضر –أ–	مشرفا	جامعة غرداية
الطّاهر بن علي	أستاذ التعليم العالي	مناقشا	جامعة غرداية

الموسم الجامعي:

1442–1443هـ/2021–2022م

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة غرداية

كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية

قسم التاريخ

فقهاء المالكية وموقفهم من الوجود الفاطمي في بلاد المغرب الإسلامي

مذكّرة مقدمة لاستكمال متطلّبات نيل شهادة الماستر في التاريخ

تخصص: تاريخ الغرب الإسلامي في العصر الوسيط

إعداد الطالب:

لخضر سارق

إشراف الأستاذ:

د/ عبد الجليل ملّاخ

المشرف المساعد:

د/ حسين شنينة

أعضاء لجنة المناقشة:

الأعضاء	الرتبة	الصفة	الجامعة
يمينة بن صغير حضري	أستاذ التعليم العالي	رئيسا	جامعة غرداية
عبد الجليل ملّاخ	محاضر –أ–	مشرفا	جامعة غرداية
الطّاهر بن علي	أستاذ التعليم العالي	مناقشا	جامعة غرداية

الموسم الجامعي:

1442–1443هـ/2021–2022م

جاء في الحديث عن معاوية بن أبي سفيان

-رضي الله عنه-

أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال:

«مَن يُرِدِ اللهُ بِه خَيرًا يُفقِّهْهُ في الدِّينِ»

صحيح مسلم

إهداء

إلى أطهر قلبين في حياتي، والديَّ العزيزين أطال الله في عمرهما.

إلى من شاركتني السرَّاء والضراء، ولم أرها عابسة يومًا، زوجتي المخلصة.

إلى من أتشوَّق لأن أرى مستقبلهم المشرق بإذن الله، أبنائي الأعزاء

(إيّاد–ريهام–محمد الصّادق–ياسين–عبد الرحيم).

إلى جموع الأقارب والأصدقاء

أهديكم بحثي، وأدعو الله أن يحوز إعجابكم.

شكر وتقدير

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، الحمد لله الذي عَلِمَ الزلّات فسترها عن أهلها وأنزل الرحمات، الحمد لله حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه أن وفقني لإتمام عملي المتواضع هذا رغم التزاماتي المهنية، ورغم بعد المسافة بين مقر اقامتي في بلدية المرارة دائرة جامعة ولاية المغير، وبين مقر الدراسة (جامعة غرداية)

أمّا بعد:

أتوجه بفيض من الشكر والعرفان المقرون بعظيم الامتنان، للدكتور **عبد الجليل ملّاخ** على قبوله ومن دون تردد الاشراف على مذكرتي، وأحييه على مرافقته لي وتذليل صعوبات بحثي العلمية والمنهجية، وأشكره جزيل الشكر على رحابة صدره وطول صبره معي رغم انشغالاته الكثيرة.

وأتوجه بالتقدير أيضا:

الى كل أساتذتي الكرام الذين لمسنا فيهم الكفاءة والطيبة وقوة الشخصية ولم يبخلوا علينا بتوجيهاتهم ونصائحهم قبل معلوماتهم، وأخصّ بالذكر:

الدكتور: **الطّاهر بن علي**

الدكتورة: **بن صغير يمينة حضري**

الدكتور: **وانس صلاح الدين**

الدكتور: **بكير بوعروة**

وما عساني إلا أن أقول لهم:

"جعل الله أعمالهم في ميزان حسناتهم، وألبسهم لباس الصحة والعافية"

قائمة المختصرات

الاختصار	ما يوافقه
تح	تحقيق
تر	ترجمة
ج	جزء
د	دكتور
د.د.ط	دون دار الطبع
د.س.ط	دون سنة الطبع
د.م.ط	دون مكان الطبع
درا	دراسة
ص	صفحة
ق	قرن
م	ميلادي
مج	مجلد
هـ	هجري

المقدمـــة

شكّل الفتح الإسلامي لبلاد المغرب خلال القرن الأول الهجري السابع الميلادي، إضافة جديدة للعالم الإسلامي جغرافيا وسياسيا واجتماعيا واقتصاديا وثقافيا، وتعزّزت مكانته على الصعيد العالمي، وظهرت به أحداث تاريخية عظمى شملت مختلف المجالات والتي سطَّرها المؤرخون وعديد الباحثين المتخصصين في هذا المجال، فخلّفوا لنا أمهات الكتب والمصادر التي تعدّ بمثابة شاهد عيّان وإلى اليوم، فقد أرّخت لانتقال الفرق والمذاهب من المشرق الإسلامي –موطنها الأصلي– إلى بلاد المغرب، وما ترتب على ذلك من تأسيس لدول مذهبية، وما أسفرت عنه من نتائج أدخلت المنطقة غالبا في دوّامة من الصراعات التي كان لها الأثر البليغ في تغيير الخريطة السياسية في كل مرة، وانطلاقا من ذلك كان موضوع دراستي موسوما بـ:

"فقهاء المالكية وموقفهم من الوجود الفاطمي في بلاد المغرب الإسلامي".

أولا–حدود الدراسة:

- ✓ **من حيث الموضوع:** فقهاء المالكية وموقفهم من الوجود الشيعة الإسماعيلية ودولتهم الفاطمية ببلاد المغرب الإسلامي.
- ✓ **من حيث الإطار المكاني:** بلاد المغرب الإسلامي الممتدة من برقة شرقا إلى المحيط الأطلسي غربا، ومن البحر الأبيض المتوسط شمالا، إلى بلاد السودان جنوبا.
- ✓ **من حيث الإطار الزماني:** يركّز الموضوع على فترة الوجود الفاطمي ببلاد المغرب، أي منذ تأسيس الدولة الفاطمية عام 297هـ/910م إلى غاية رحيلها إلى مصر عام 362هـ/973م، وللموضوع امتداد زماني أحيانا شمل فترة الدّعوة الإسماعيلية في بلاد المغرب وكذلك وصول المذهب المالكي، وتستمر الدراسة إلى غاية القطيعة مع الفاطميين التي يُقال أنّها كانت بين 433هـ/1041م و1051/443م.

ثانيا–أسباب اختيار الموضوع:

اخترت موضوعي هذا لعدة اعتبارات وأسباب ذاتية وموضوعية يمكن اجمالها فيما يلي:

–أنا من الذين تستهويهم مواضيع الحركات المذهبية وأجد متعتي فيها، فلا أحسّ بالإرهاق ولا بالإجهاد عند قراءتها والبحث فيها، فشكّل هذا الأمر بالنسبة إليَّ دافعا معنويا للخوض في هذا الموضوع دون كلل أو ملل.

-قبل اختياري للموضوع اطّلعت على مقال بعنوان "الفتاوى التي أصدرها فقهاء المالكية وأثرها على الدولة الفاطمية إلى غاية سنة 362هـ/792م لمؤرخين شيعة وهما: د. علاء كامل صالح العيساوي ود. محمد حلو خلف الفرطوسي، وممّا شدّ انتباهي فيه قولهما " أنّ الدولة الفاطمية هي دولة كفاءات قامت بسحب العديد من المناصب الإدارية والعسكرية من الذين كانوا يشغلونها من فقهاء المالكية، لذا عملوا على التحريض ضدها"، فأردت أن اكتشف الحقيقة من خلال اختياري لدراسة هذا الموضوع.

-بحكم انتمائي للمذهب المالكي، أردت أن أوضح المضايقات التي تعرض لها بالمغرب الإسلامي، والملاحم والبطولات التي سطّرها رجال -صدقوا ما عاهدوا الله عليه-في الذّود عنه حتى جاء الحق وزهق الباطل، وذاع صيته في كافة أرجاء المنطقة.

-اعجابي الشديد بشخصية امام دار الهجرة (الامام مالك رحمة الله عليه) في صدقه، وقوة شخصيته، وتحريه الفتيا، ولعلمه بعظمة المسؤولية التي كانت على عاتقه، فيكفيه أنّه كانت تُضرب اليه أكباد الإبل ويقطع اليه طلبة العلم مسافات طويلة ويردهم بكلمة بسيطة وهي "لا أدري".

-حسب رأيي أن كثيرا من المواضيع التي تُطرح في مسابقة الدكتوراه هي من الحركات المذهبية، فعزمت على التركيز عليها في دراستي كبداية تحضيري لخوض غمار هذه المسابقة التي تعتبر هدفي الأساسي لإكمال دراستي.

ثالثا-الإشكالية:

للإحاطة بكل جوانب موضوع مذكرتي رأيت أنه من اللائق طرح الإشكالية الرئيسية التالية:

كيف كانت مواقف فقهاء المالكية من الوجود الفاطمي في بلاد المغرب الإسلامي في ضلّ الاختلاف المذهبي بين السنة المالكية، والشيعة الإسماعيلية؟

ومن ثمّ تفكيكها إلى الإشكاليات الجزئية كالآتي:

كيف ولماذا وصل المذهبان السني المالكي والشيعي الإسماعيلي إلى بلاد المغرب الاسلامي؟

كيف تأسست الدولة الفاطمية في بلاد المغرب؟ وفيما تمثلت سياستها المذهبية؟

من هم فقهاء المالكية الذين كانت لهم مواقف اتجاه الوجود الفاطمي في بلاد المغرب؟

وما هي أساليب المقاومة التي انتهجوها؟ فيما تمثلت أهم النتائج التي ترتبت عن الصراع الدائر بين فقهاء المالكية والفاطميين في بلاد المغرب الإسلامي؟

رابعا–شرح خطة البحث:

قسّمت بحثي إلى أربعة فصول، بالإضافة إلى الفصل التمهيدي، والمقدمة والخاتمة، وتناولت كل ما يخص الموضوع وراعيت في ذلك التسلسل المنهجي والترتيب الزماني فكانت خطّتي على النحو الآتي:

المقدمة وقد بدأتها بتوطئة للدخول في الموضوع ذكّرت في آخرها بعنوان البحث، وتناولت فيها حدود الدراسة، وأسباب اختاري لهذا الموضوع، ثم طرحت الإشكالية الرئيسية وما تفرّع عنها، وشرحت فيها خطة بحثي بأسلوب وصفي، دون أن أغفل عن تحديد أهمية وأهداف الموضوع، وتحديد الدراسات السابقة التي اطلعت عليها مع ذكر إيجابياتها وسلبياتها، ثم قمت بتحديد المناهج التي اتبعتها في بحثي، وتطرقت فيما بعد إلى ذكر لأهم المصادر والمراجع التي اعتمدت عليها، وأنهيت مقدمتي بذكر المشاكل التي اعترضتني في هذا البحث.

ثم **الفصل التمهيدي** عنونته بالتعريف بالمذهبين السنّي المالكي والشيعي الإسماعيلي، وأسباب دخولهما إلى بلاد المغرب الإسلامي، وتضمن مبحثين أساسيين فالأول تناول لمحة تعريفية للمذهبين السنّي المالكي، والشيعي الإسماعيلي، حيث جاء فيه ترجمة للإمام مالك بن أنس الذي ينسب إليه المذهب المالكي، والتعريف بالمذهب السنّي المالكي وأصوله، وانتشاره، ثم ترجمة أيضا للإمام إسماعيل بن جعفر الصادق الذي ينسب اليه بعض الشيعة المذهب الإسماعيلي، والتعريف بالمذهب وجذوره، وكذلك تطرقت إلى بعض معتقدات الشيعة حتى تكون النظرة واضحة بالنسبة للقارئ، أما المبحث الثاني فتطرقت فيه لأسباب دخول المذهبين إلى بلاد المغرب الإسلامي وقبل ذلك أوضحت كيف كانت البداية الأولى لدخول المذهبين.

ثم **الفصل الأول** الذي عنونته بقيام الدولة الفاطمية، نظام ومراحل حكمها، وسياستها المذهبية ببلاد المغرب الإسلامي، والذي تضمن ثلاث مباحث رئيسية، حيث تناولت في الأول تأسيس الدولة الفاطمية ونظام حكمها، وركّزت فيه على تمهيد عن دور أو عبد الله الشيعي في قيام الدولة الفاطمية، ثم قدوم الإمام عبيد الله المهدي من سلَّمية، وبعدها اعلان قيام الدولة الفاطمية بعد خروج المهدي من سجن سجلماسة، وأشير هنا إلى استخدامي لمصطلح عُبيد الله المهدي أحيانا

وأحيانا أخرى عُبيد الله وكذلك المهدي، لا لشيء الا لتفادي التكرار، أما فيما يخص النقطة الثانية من هذا المبحث فخصصتها لنظام حكم الدولة الفاطمية، فأعطيت لمحة مختصرة عنه، وركزت على مصطلحي الامامة والخلافة، وتكلمت على الجيش والقضاء حتى أوضح جميع جوانب نظام الحكم، أما المبحث الثاني فجاء بعنوان مراحل حكمها ببلاد المغرب الإسلامي(297هـ-362هـ/910-973م) على حسب الخلفاء الأربعة الذين تداولوا على حكمها في بلاد المغرب الإسلامي، بداية بعبيد الله المهدي، ثم القائم بأمر الله، ثم إسماعيل المنصور، وأخيرا المعزّ لدين الله الفاطمي الذي انتقلت في عهده الدولة الفاطمية إلى مصر، وكل فترة من فترات هؤلاء الحكام الأربعة تكلّمت على سياستهم الداخلية والخارجية باختصار حتى أمكّن القارئ من وضع الأحداث في سياقها وتكون هناك منهجية سلسلة تساعد في ترتيب الأحداث ترتيبا زمنيا، ويمكن الإشارة هنا إلى اعتمادي على تغيير المصطلحات التي لها نفس الدلالة، على حسب المصادر والمراجع فبما أنّ الخلافة تعني نظام حكم، فقد استخدمت مصطلح الحاكم وأحيانا أخرى الخليفة عند الحديث عن حكام الدولة الفاطمية، أمّا المبحث الثالث فكان بعنوان السياسة المذهبية الفاطمية، حيث تكلمت على السياسة المذهبية قبل اعلان قيام الدولة الفاطمية وهي السياسة المذهبية التي انتهجها أبو عبد الله الشيعي، ثم السياسة المذهبية بعد اعلان قيام الدولة الفاطمية والتي انتهجها عُبيد الله المهدي والتي بقيت سارية المفعول في كل فترات حكم الخلفاء من بعده في بلاد المغرب، باستثناء بعض التغييرات الطفيفة ومن أجل ذلك لم أتتبع السياسة المذهبية لكل خليفة على حدى.

وفي **الفصل الثاني** الذي عنونته بمواقف المالكية تجاه الوجود الفاطمي في بلاد المغرب الإسلامي، والذي قسّمته إلى مبحثين على حسب مواقف فقهاء المالكية من الوجود الفاطمي، فكان المبحث الأول بعنوان فقهاء رافضون للوجود الفاطمي والذي تضمّن فقهاء رافضون بقلبهم فارون بدينهم، وفقهاء رافضون بالعلم ومجاهرون بعقيدتهم، وفقهاء رافضون بالسلاح، أما المبحث الثاني فجاء بعنوان فقهاء مؤيدون للوجود الفاطمي، ومنهم المتعاطفون معهم، ومنهم الموالون لهم، ويمكن الإشارة هنا إلى أنّ معظم الشخصيات التي تعرّضت لها مذكورة باختصار في المصادر والمراجع الأساسية لهذا الموضوع، فكان من الصعب الإحاطة بكل جوانب الشخصية، لذلك اضطررت إلى إعطاء لمحة عن كل شخصية والاشارة إلى موقفها من الوجود الفاطمي، وتغيّر معي كثيرا المصطلح

الذي يشير إلى الفاطميين في هذا الفصل من بني عُبيد إلى عُبيديين إلى فاطميين إلى إسماعيليين على حسب ما جاء في المصادر والمراجع من جهة، ولتفادي تكرار نفس المصطلح من جهة أخرى.

وفي **الفصل الثالث** الذي عنونته بأساليب مقاومة فقهاء المالكية للوجود الفاطمي ببلاد المغرب الإسلامي، والذي تضمن ثلاث مباحث أساسية على حسب تنوع أساليب المقاومة، فكان المبحث الأول بعنوان المقاومة الصامتة وأساليب شبيهة بها، وأقصد بالمقاومة الصامتة المقاومة السلبية كما يسميها البعض الّا أني رأيت أن مصطلح صامتة أبلغ من سلبية، فمن غير المعقول أن نسمي مقاطعة الفاطميين والدعاء عليهم بالمقاومة السلبية، وهي أساليب أذاقت الفاطميين مرارة العيش بين المالكية واضطرتهم إلى الخروج من بين ظهرانيهم، أما الأساليب الأخرى التي يعتبر الجزء الثاني من هذا المبحث، مثل حضور المجالس التي تغيض الشيعة، فرأيت أنّها الأقرب إلى المقاومة الصامتة لذلك أدرجتها في نفس المبحث، وفصّلت في كل واحدة على حدى، أما المبحث الثاني فخصصته للمقاومة العلمية والجدلية وفصّلت بينهما للتوضيح فتضمنت المقاومة العلمية اجتهاد الفقهاء ونشرهم الوعي، التعليم في البيوت، حركة التأليف، أما المقاومة الجدلية فتمثلت في المجالس والمناظرات وأعطيت أمثلة لبعض المناظرات التي حدثت خاصة بين عبيد الله المهدي وسعيد بن الحداد، أما المبحث الثالث فكان بعنوان المقاومة المسلّحة وهي الخيّار الأخير الذي أُرغم عليه فقهاء المالكية فتكلمت عن كيفية تبنّيهم للمقاومة المسلحة، وأثر الفتاوي الداعية لجهاد الشيعة، والأسباب التي جعلت فقهاء المالكية يشاركون ثورة أبي يزيد الخارجي، ومجريات المقاومة المسلحة باختصار.

وفي **الفصل الرابع** الذي عنونته بأهم نتائج الصراع بين فقهاء المالكية والفاطميين ببلاد المغرب الإسلامي، واخترت هذا العنوان على اعتبار أن معظم العلاقة بين فقهاء المالكية والفاطميين في بلاد المغرب هي علاقة صراع، وركّزت على بعض النتائج فقط باعتبارها أحداث مفصلية وهامة جدا بالنسبة لتاريخ المذهب المالكي في بلاد المغرب الإسلامي أو بالنسبة لتاريخ الفاطميين، فتكلّمت في المبحث الأول عن بناء المهدية ولجوء الفاطميين اليها للابتعاد عن رقادة والقيروان مركزا المقاومة السنية، وتدرجت في هذا المبحث بداية بالتعريف بمدينة المهدية، ثم دوافع بنائها، وأخيرا لجوء المهدي اليها بعد اكتمال بنائها، أما المبحث الثاني فجاء بعنوان انتقال الفاطميين إلى بلاد المشرق الإسلامي، حيث أوضحت فيه أن تفكير الفاطميين في الخروج من افريقية كان منذ وقت المهدي وأنّ الوجهة الأولى كانت شمال المغرب الأقصى ثم جنوبه، للتحول أنظارهم فيما بعد إلى مصر، وكان لهم ذلك في عهد المعزّ لدين الله الفاطمي وقائد جيشه جوهر الصقلي، أما المبحث الثالث فكان بعنوان انتصار

المذهب السنّي المالكي وتراجع المذهب الشيعي الإسماعيلي بالمغرب الإسلامي، حيث أشرت فيه إلى بداية تراجع المذهب الشيعي الإسماعيلي خاصة بعد رحيل الفاطميين إلى مصر سنة 362هـ، وأوضحت دور العائلة الزيرية التي إستخلفها الفاطميون في حكم بلاد المغرب في التّمكين للمذهب المالكي خاصة في عهد المعزّ بن باديس، وكذلك تطرقت إلى مظاهر تعاظم المذهب المالكي من تقليد لمناصب القضاء والإدارة للمالكيين والانقلاب على دعاة الشيعة وقتلهم، وفي الأخير تكلمت على القطيعة التي حدثت بين الفاطميين وبلاد المغرب الإسلامي في عهد المعزّ بن باديس الذي أدار ظهره لهم، واتجه صوب العباسيين، وما صاحب ذلك من تتبع لفلول الشيعة وتصفيتهم بارتكاب مجازر كثيرة.

أمّا **الخاتمة** فخصصتها لمجموعة من الاستنتاجات التي وصلت اليها من خلال هذه الدراسة بالإضافة إلى مجموعة من التوصيات العامة المتعلقة بالموضوع.

خامسا–الأهمية **والأهداف:**

تتمثل أهمية هذا الموضوع في تسليط الضوء على حقبة بارزة من تاريخ المغرب الإسلامي في العصر الوسيط ذات طابع مذهبي وما ترتب عنها من أحداث شملت مختلف المجالات، أما أهدافه فتكمن في توضيح مجريات الصراع المرير الذي تجرعه العالم الإسلامي منذ القرن الأول للهجرة بين السنة والشيعة والذي مازال قائما إلى اليوم، حيث كانت منطقة المغرب الإسلامي احدى حلباته الأساسية، وتوضيح مواقف فقهاء المالكية من وجود الفاطميين في بلاد المغرب الإسلامي، وإزالة اللبس على الاتهامات التي تبادلها الطرفان (السني والشيعي) في تحميل مسؤولية هذا الصراع الذي أذاق سكان المنطقة الويلات في تلك الفترة، والتأكيد على أنّ سكان بلاد المغرب الإسلامي انسجموا مع المذهب المالكي وتبنوه عن قناعة والدليل على ذلك استمراره إلى اليوم، وأن المذهب الشيعي الإسماعيلي ما كان لينتشر لولا حداثة عهد البربر بالإسلام.

سادسا–الدراسات السابقة:

هناك مجموعة من الدراسات السابقة التي اطلعت عليها لعلاقتها على الأقل بإحدى جوانب موضوعي وهي:

1) سبع قادة: **الصراع المذهبي العقدي بالغرب الإسلامي، أسسه مجالاته وانعكاساته،** رسالة دكتوراه في تاريخ المغرب الإسلامي، اشراف د. بن معمر محمد، جامعة وهران، الجزائر،

2015، الذي ساعدني تحديد معالم الصراع وانعكاساته بين فقهاء المالكية والعبيديين، وأيضا في رحلة البحث عن المصادر والمراجع.

2) طارق بن زاوي: **استقلال المعز بن باديس الزيري عن الدولة الفاطمية**، مذكرة ماجستير في التاريخ الوسيط، اشراف: د/رافعي نشيدة، جامعة الجزائر، الجزائر، 2009/2008، والتي استفدت منها كثيرا خاصة في القسم الذي يخص قيام الدولة الفاطمية، والقطيعة بين الفاطميين والزيريين.

3) علي الشريف بشير بويجرة: "جهاد الفقهاء المالكية، وأساليب مقاومتهم للدولة الشيعية العبيدية"، **الحوار المتوسطي**، جامعة الزيتونة، العدد 3، تونس، 2020/12/31، الذي ساعدني في إيجاد مجموعة من المصادر والمراجع المتعلقة بالموضوع، وفي تحديد أسماء بعض فقهاء المالكية.

4) علاء كامل صلاح العيساوي ومحمد حلو خلف الفرطوسي: "الفتاوى التي أصدرها فقهاء المالكية وأثرها على الدولة الفاطمية لغاية سنة (362هـ/792م)"، **مجلة حولية المنتدى**، العدد 14، آذار 2018، الذي أثار في نفسي دافع البحث عن الحقيقة، لكنه مقال متحيّز للشيعة ممكن بسبب الانتماء

5) -عمر الجيدي: نظرات في تاريخ المذهب المالكي، **مجلة دعوة الحق**، العدد 223، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المملكة المغربية، يوليو 1982، الذي أفادني كثيرا في تحديد أسباب انتقال المذهب المالكي إلى بلاد المغرب الإسلامي.

سادسا-المناهج المتّبعة:

للوصول إلى الهدف المنشود من هذه الدّراسة والاجابة على الإشكالية الرئيسية المطروحة وما تفرّع عنها من إشكاليات جزئية، كان لزاما عليَّ الاعتماد على **المنهج التّاريخي**، الذي يعتمد على انتقاء وجمع المعلومات التاريخية المتعلقة بأخبار وحيثيات وتواريخ فقهاء المالكية، والوجود الفاطمي ببلاد المغرب، والعلاقة التي دارت بينهما، بالرجوع إلى أمهات الكاتب والمراجع المتخصصة، ومستخدما المنهج الوصفي باعتباره المكمل للمنهج التاريخي في مثل هاته المواضيع، وابداء وجهات النظر من خلال الرجوع دائما إلى ما جاء عند المؤرخين والباحثين أصحاب الاختصاص.

سابعا-دراسة نقدية للمصادر والمراجع:

نظرا لطبيعة الموضوع اقتضت الضرورة الاعتماد على مجموعة من المصادر والمراجع المتنوعة من حيث التخصص، ككتب الفقه، والتاريخ العام، والطبقات والتراجم، والموسوعات، أو من حيث الانتماء، كالكتب السنية أو الشيعية وحتى الأجنبية.

1-المصادر:

أ-كتب التاريخ العام: وعلى رأسها كتاب **"البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب"** لابن عُذارى المراكشي، الذي لا يمكن لدارس تاريخ الغرب الإسلامي تجاهله، لقيمته العلمية الكبيرة ولاعتماده على العديد من المصادر الهامة التي أصبحت مفقودة الآن، ولقد أفادني الكتاب بمعلومات هامة عن الفاطميين في بلاد المغرب الإسلامي وسياستهم المذهبية التي طالت الصحابة والذين وأدت بهم إلى قتل العلماء الذين وقفوا حجر عثر وأفحموهم بالحجة والدليل، أما كتاب **"افتتاح الدعوة"** للقاضي النعمان الذي لا يمكن لدارس تاريخ الدولة الفاطمية اهماله، لأنه يعتبر من روائع كتب الدعوة الإسماعيلية وتضمن مراسلات أبو عبد الله الشيعي مع كتامة الأمازيغ وحملاتهم العسكرية التي أدت إلى غزو الأغالبة الذين حكموا إفريقية، وناقش الكتاب هجرة الإمام المهدي من السلمية، وأسره في سجلماسة، وإطلاق سراحه في نهاية المطاف، ومن ثَمّ تأسيس الدولة الفاطمية، وبالتالي فقد أفادني هذا المصدر كثيرا في النقاط التي ذكرتها، لكن لا أنكر انّه مسني كثيرا من جانب العقيدة خاصة فيما يتعلق بتقديسه لأئمة الشيعة، **العبر** لعبد الرحمن بن خلدون فجاء متعاطفا مع الفاطميين نوعا ما لكن ركّز بشكل كبير على الغزو الهلالي لبلاد المغرب الذي تطرقت اليه كتحصيل حاصل من اعلان القطيعة بين الزيريين والفاطميين، أما كتاب "**أخبار ملوك بني عبيد وسيرتهم**" لابن حماد الصنهاجي فقد أفادني بشكل كبير خاصة عند حديث عن مراحل حكم الدولة الفاطمية في بلاد المغرب التي رتبتها على حساب حكامها الأربعة كما أفادني أيضا للتعريف بهؤلاء الحكام .

ب-كتب الطبقات والتراجم: وهي مصادر هامة جدا من حيث التعريف بالشخصيات ومن حيث سرد الاحداث التاريخية التي خلّفوها والتي شملت مختلف المجالات، وعلى رأسها كتاب **"رياض النفوس"** لأبي بكر عبد الله بن محمد المالكي، خاصة في جزئه الثاني، الذي تطرّق فيه إلى علماء افريقية والقيروان من حيث أخبارهم وفضائلهم والمحن التي تعرضوا اليها من طرف الفاطميين، وكذلك كتاب **"ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك"**، للقاضي عياض الذي افادني كثيرا هو الآخر لأنه خصّ علماء المالكية دون غيرهم من المذاهب، وأوضح الصراع المذهبي المرير الذي دار بين السنة والشيعة في بلاد المغرب الإسلامي، فرسم صورة واضحة عن أساليب الفاطميين

في فرض مذهبهم ومواقف فقهاء المالكية من ذلك، بالإضافة إلى كتاب "**الديباج المذهب في معرفة أعيان المذهب**" لابن فرحون، الذي سار على نهج الكتاب السابق، فجعله خاصا بعلماء المالكية دون غيرهم مع الإشارة إلى أنه لم يخوض في جوانب مختلفة للشخصيات ما عدا الجانب العلمي منها، أما كتاب "**معالم الايمان في معرفة أهل القيروان**" للدبّاغ فأفادني بترجمة الكثير من شخصيات المذهب المالكي الذين تركوا الأثر البارز من خلال مواقفهم منو الوجود الفاطمي في بلاد المغرب الإسلامي.

جـ-كتب الجغرافية: وهي مهمة جدا لا يمكن للباحث اهمالها خاصة عند تحديد ووصف المناطق والأماكن الجغرافية، من مدن، ودول، وحواضر، ولأن الأحداث التاريخية هي في الأساس مرتبطة بالزمان والمكان، ومن الكتب المتخصصة في هذا المجال والتي أفادتني كثيرا كتاب "**معجم البلدان**" لياقوت الحموي الذي اعتمدت عليه خاصة في التعريف بالمناطق، وإذا تعذّر عليّ الأمر أستعين بكتاب "**المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب**" لأبي عبيد البكري.

د-كتب العلوم الشرعية: لإعطاء قيمة علمية لبحثي، كنت ألجأ في كل جزئية منه إلى كتب الاختصاص، ولتخريج الأحاديث مثلا اعتمدت على كتاب "**سنن الترمذي**" للإمام الترمذي، وللتعريف بالفرق والمذهب اعتمدت على كتاب "**الملل والنحل**" للشهرستاني، ولتوضيح بعض المعتقدات والأمور الفقهية لجأت إلى كتاب "**فضائح الباطنية**" للإمام أبي حامد الغزالي، وكتاب " **منهاج السنة النبوية**" لابن تيمية، وبما أنها كتب متخصصة فالمعلومة تكون أدق وأعمق.

2-المراجع: على اعتبار أن المراجع مهمة جدا في فهم وتحليل الحادثة التاريخية، خاصة وأن مؤلفيها يعتمدون على أمهات المصادر وكتب الاختصاص في كتاباتهم، ولهذا السب اعتمدت على مجموعة من المراجع منها، كتاب "**المذهب المالكي بالغرب الإسلامي**" لنجم الدين الهنتاتي، من أهم المراجع التي اعتمدت عليها، وأفادتني كثيرا خاصة فيما يتعلق بدخول المذهب المالكي وأسباب انتشاره بالمغرب الإسلامي، ومظاهر مقاومة علماء المالكية للدولة الفاطمية، وانتصار المذهب نهائيا بإفريقية بالإضافة إلى كتاب "**مباحث في المذهب المالكي**" لعمر الجيدي، الذي أوضح لي بشكل جيد أسباب انتشار المذهب المالكي في المغرب الإسلامي، وكتاب "**الخلافة الفاطمية بالمغرب**" لفرحات الدشراوي الذي اعتمدت عليه عند حديثي عن تأسيس الدولة الفاطمية وسياسة حكامها الأربعة ببلاد المغرب.

ثامنا–صعوبات البحث:

واجهتني عدة صعوبات في رحلة البحث في هذا الموضوع منها:

–ضيق الوقت المحدد لإنجاز المذكرة من جهة وارتباطي بعملي من جهة أخرى صعّب عليّ مهمة البحث التي أردتها أن تكون أكثر عمقا.

–طابع الموضوع الفقهي، جعلني أجد صعوبات في فهم بعض الأمور الفقهية، فكنت مطالبا في كل مرة بالفهم قبل الكتابة من خلال الرجوع إلى المواقع الفقهية، واستشارة المتخصصين في العلوم الشرعية، وكل هذا كان على حساب الوقت المخصص لإنجاز هذه المذكرة.

–رغم وفرة الأنترنت ومزاياها التي لا تعدّ ولا تُحصى إلّا أنّني لم أصل إلى بعض الكتب لأن حقوق نشرها محفوظة.

–اختلاف المؤرخين في الحكم على الأحداث التاريخية بسبب حساسية الموضوع في حد ذاته (سنة وشيعة) وبحسب أقلامهم المأجورة بدافع الانتماء، جعلني أتحرى الدقّة في كل مرة بالرجوع إلى مصادر ومراجع مختلفة حتى في الجزئيات الصغيرة.

لكن كما قال جمال الدين الأفغاني: **"الهمّة تلد العزيمة ولا يتسع الأمر الّا إذا ضاق"**، فقد وُفّقت بفضل الله سبحانه وتعالى أولا، ثم بتوجيهات مشرفي الدكتور ملّاخ عبد الجليل الذي ذلّل لي الكثير من الصعوبات في المادة العلمية من جهة، وفي المنهجية من جهة أخرى، وتمكنت ولله الحمد من إتمام عملي الذي اراه متواضعا من كل النواحي، ويبقى الكمالُ لله وحده.

–الفصل التمهيدي: التعريف بالمذهبين السني المالكي والشيعي الإسماعيلي، وأسباب دخولهما إلى بلاد المغرب الإسلامي.

المبحث الأول: لمحة تعريفية للمذهبين السني المالكي، والشيعي الإسماعيلي

أولا: المذهب السني المالكي

ثانيا: المذهب الشيعي الإسماعيلي

المبحث الثاني: أسباب دخول المذهبين إلى بلاد المغرب الإسلامي

أولا: أسباب دخول المذهب السني المالكي إلى بلاد المغرب الاسلامي.

ثانيا: أسباب دخول المذهب الشيعي الإسماعيلي إلى بلاد المغرب الإسلامي.

المبحث الأول: لمحة تعريفية للمذهبين السني المالكي، والشيعي الاسماعيلي

أولا: المذهب السني المالكي

1-ترجمة للإمام مالك بن أنس:

أ-مولده ونسبه: أُختلف في مولد الامام مالك اختلافا كبيرا، فقيل ولد سنة73هـ وقيل 94هـ و96هـ و90 هـ والأشهر من كل هذه الأعوام 73هـ، واسمه الكامل مالك بن أنس بن مالك بن أبي عامر بن عمرو بن الحارث بن غيمان بن خُثيل بن عمر بن الحارث[1]، لم يختلف علماء النسب في نسبه لذي أصبح الذين أتى جدهم إلى المدينة وتزوج من التيميين فنُسب إليهم، يعتبر جدّه أبو عامر بن عمرو من أصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم شهد معه المغازي كلها ما عدا بدرا[2].

ب-طلبه للعلم: يُقال عن الامام مالك أنّ أمّه ألبسته لباس العلم وعمّمته فوقها، وأشارت اليه بأن يقصُد ربيعة ليأخُذ من أدبه قبل علمه، ويقال عنه أيضا أنّ أبيه ألقى له ولأخيه بمسألة فأخطأ مالكا وأصاب أخاه، فنهره والده وقال له ألهتك الحمام عن طلب العلم، فغضب الامام مالك وصمّم على تدارك ما فاته من طلب للعلم فانقطع لابن هرمز سبعة أعوام وقيل ثمانية، وكان يحمل معه التّمر ويعطيه لصبيَانه مغريا إياهم حتى إذا سألهم أحد عن الشيخ أجابوه بأنه مشغول، وكل ذلك من أجل أن ينفرد به الامام مالك ويأخذ ما أمكن من علمه[3].

لذلك يمكن القول أنّ الامام مالك نهل عن كثير من علماء المدينة آنذاك لعل أشهرهم أبوبكر عبد الله بن يزيد والمعروف بابن هرمز (ت148هـ)، الذي كان يأتيه من بكرة ولا يخرج من عنده الا في الليل، ومن شيوخه كذلك ابن شهاب الزهري (ت 124هـ) الذي يعد من أوائل المدونين والذي

---

[1] عياض بن موسى بن عياض السبتي (القاضي عياض): **ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة اعلام مذهب مالك**، تح محمد بن تاويت الطبخي، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، ط2، المملكة المغربية، 1983، ج1، ص104

[2] إبراهيم بن نور الدين (القاضي ابن فرحون): **الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب**، تح أمون بن محيي الدين الجنان، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت لبنان، 1996، ص56-59

[3] نفسه، ص63-64

روى له الامام مالك في موطئه 132 حديثا، وكذلك ربيعة بن أبي عبد الرحمان (ت 136هـ) الذي قال فيه مالك: "ذهبت حلاوة الفقه منذ مات ربيعة"[1].

جـ-مجلسه ونشره للعلم: كان مجلسه مجلس وقار وحلم، ليس فيه شيء من المراء واللغط ورفع الصوت، وكان إذا سُئل أجاب بدون ازدراء ولا استهزاء، وكان يوقّر حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ويقال أنّه في احدى المرات كان يُحدّث حديثا فلدغته عقرب ستة عشر مرة حتى تغيّر لونه واصفرّ ولم يقطع الحديث، وكان يتحرّى الفتيا فيأمر السائل بالانصراف حتى يأخذ الوقت الكافي للنظر في مسألته، وعندما سُئل عن السبب بكى وقال: "أخاف أن يكون لي من المسائل يوم وأيُّ يوم"[2].

أهم مؤلفاته كتاب "الموطّأ" الذي يُقال أنّه ألفه بطلب من أبي جعفر المنصور الذي قال للإمام: "ضع للناس كتابا أحملهم عليه" فوضع الموطأ الذي لم يفرغ منه حتى مات أبو جعفر، ومن مؤلفاته أيضا رسالته في الرد على القدرية، وكتابه في النجوم، وحساب مدار الزمان، ومنازل القمر، وكتاب في الأقضية من عشرة أجزاء، وكتابه في التفسير لغريب القرآن الذي يرويه عنه خالد ابن عبد الرحمان المخزومي، أُختلف في تاريخ وفاته أيضا الا أنّ الاصح منها في ربيع الأول سنة 179 هـ ويُقال أنّه تشهّد وقال لله الأمر من قبل ومن بعد ثم فاضت روحه إلى بارئها مباشرة، غسّله ابن كنانة وكاتبه حبيب وغيرهما، وصلّى عليه في موضع الجنائز ثمّ حُمل إلى مثواه الأخير رحمة الله تعالى عليه[3].

2-التعريف بالمذهب السنّي المالكي وأصوله: هو أحد المذاهب الفقهية السنية الأربعة، يُنسب لإمام دار الهجرة مالك ابن أنس الاصبحي رحمه الله تعالى، ويعتبر مذهبه ثاني الأربعة من حيث القدم ويُطلق على أصحابه بأهل الحديث[4].

لم يترك الامام مالك اثرا كتابيا عن الأصول التي بنى عليها مذهبه، على عكس تلميذه الامام محمد بن ادريس الشافعي الذي دون أصوله في الاستنباط وضبطها، واكتفى الامام بالإشارة اليها من خلال تدوين بعض فتاويه ومسائله، فقد بين لنا الموطأ مثلا انه كان يعتمد على مرسل الحديث

---

[1] مالك بن أنس: **الموطأ**، صححه محمد فؤاد عبد الباقي، دار احياء الكتب العربية، ط جديدة مصححة، بيروت لبنان، د.س.ط، ج1، ص26-27

[2] ابن فرحون، المصدر السابق، ص63-64

[3] نفسه، ص72-75

[4] أحمد تيمور باشا: **نظرة تاريخية في حدوث المذاهب الأربعة**، المطبعة السلفية ومكتبتها، ط2، القاهرة، 1351هـ، ص19

ومنقطعه والبلاغات، ولكن لم يبين وجه أخذه، كما تضمن كتابه الموطّأ على أخذه بالقياس، حيث جاء في كتاب "مالك" لمحمد أبي زهرة: "كما رأيت في قياسه زوجة المفقود إذا عاد اليها بعد ان تزوجت على من طلقها زوجها زواجا رجعيا، وراجعها وعلمت بالطلاق، ولم تعلم بالرجعة، فتزوجت على هذه الحال المعماة عليها."[1] وهكذا ترى في الموطأ إلى ما يشير إلى أصول الاستنباط عنده بالرغم من عدم الوضوح والتوجيه لهذه الأصول.[2]

ويُلاحظ أنّ المالكية قد اختلفوا في عدّ هذه الأصول، فالقاضي عياض مثلا لم يذكر منها الا أربعة وهي (الكتاب والسنة وعمل أهل المدينة والقياس)، أما القرافي[3] فعندما جزّأ الأدلة من حيث حدوثها ومشروعيتها قال انها تسعة عشر وهي (الكتاب والسنة واجماع الامة واجماع أهل المدينة، القياس، قول الصحابي، المصلحة المرسلة، الاستصحاب، البراءة الأصلية، العوائد، الاستقراء، سدُّ الذرائع، الاستدلال، الاستحسان، والأخذ بالأخفّ والعصمة واجماع أهل الكوفة، واجماع العترة، واجماع الخلفاء الأربعة)، ويرى عمر الجيدي أنّ أصول تشترك فيها جميع المذاهب، ومنها ما لا يخص المالكية أصلا مثل اجماع أهل الكوفة، ومنها ما هو خاص بالفرق الشاذة كالعصمة واجماع العترة [4].

للمذهب المالكي كتابان يعتبران أصلين يرجع اليهما، وهما جامعان لفقهه جمعا تامّا وهما: الموطّأ الذي جمع فيه الامام مالك، الصحاح من الاحاديث، والاخبار، والاثار، وفتاوى الصحابة والتابعين، وهو كتاب موثوق ومؤكد نسبه لمالك، وان كان كتاب حديث وآثار، فهو فقهي في صلبه، أما الكتاب الثاني فهو المدوّنة الكبرى، التي رواها سحنون، والتي جمعت آراء مالك بالنّص، وجمعت ما يصح أن يكونَ استنباطا من فتاويه، وهي بذلك تعتبر صورة عاكسة للمذهب المالكي كما رواه وفهمه أصحاب مالك الذين ساروا على دربه، والفرق بين الكتابين أنّ الأول اثر كتابي لصاحب المذهب الامام مالك رحمة الله عليه والثاني صدر بعد وفاته[5].

---

[1] محمد أبو زهرة: **مالك حياته وعصره–آراؤه وفقهه**، مكتبة الانجلو المصرية، ط2، القاهرة،1947، ص272

[2] نفسه، ص272

[3] **القرافي**: هو أحمد بن ادريس المشهور بالقرافي، الشيخ الامام العالم الفقيه الأصولي، أصله من كورة بوش بصعيد مصر من مؤلفاته: كتاب شرح المحصول، الذخيرة في مذهب مالك، أحمد بن ادريس القرافي: **شرح تنقيح الفصول في اختصار المحصول في الأصول**، طبعة جديدة مصححة ومنقحة، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت لبنان، 2004م، ص7-8

[4] عمر الجيدي: **مباحث في المذهب المالكي بالمغرب**، مطبعة المعارف الجديدة، ط1، الرباط، 1993، ص256

[5] أبو زهرة، المرجع السابق، ص20

3-انتشار المذهب السنّي المالكي: ترعرع المذهب المالكي بالمدينة المنورة موطن الامام مالك، ثم وصل الحجاز، والبصرة، ومصر، وبلاد افريقية، والأندلس، وصقلية، والمغرب الأقصى، والمناطق التي أسلمت من السودان، والتي أظهر تفوقه فيها هناك، وكذلك في بغداد التي ضَعُف فيها بعد القرن الرابع الهجري، وتوالى ضعفه كذلك في البصرة بعد القرن الخامس الهجري[1]، وغلب من بلاد خراسان على قزوين وأبهر، وانتشر باليمن، وأجزاء كثيرة من بلاد الشام[2]، وبالمدينة المنورة، أعاد له القاضي ابن فرحون سنة 793هـ بريقه ولمعانه بعد أن دبّ فيه الوهن والتراجع[3].

وأوّلُ من أدخله إلى مصر عبد الرحيم بن خالد بن يزيد مولى جمح، ونشره بها عبد الرحمان بن القاسم لكثرة أصحاب مالك هناك على عكس مذهب أبي حنيفة الذي لم يكن معروفا وقتها، وبقي المذهب معمولا به مع الشافعي إلى أن قدم القائد جوهر الصقلي ففشا مذهب الشيعة بالديّار المصرية واصبح المذهب المعتمد في الفتيا والقضاء وانكر كل ما خالفه، وعاد إلى الانتعاش مع الدولة الأيوبية حيث بُنيت لفقهائه المدارس، أما في افريقية فكانت الغلبة للمذهب الحنفي ولما تولّى المعز بن باديس سنة 407هـ حمل أهلها واهل من جاورها من بلاد المغرب على المذهب المالكي فاستمرت له الغلبة إلى اليوم، وفي الاندلس كان يسود المذهب الأوزاعي والذي بقي بها إلى عصر الأمير هشام بن عبد الرحمان فحلّ محله مذهب امام دار الهجرة[4].

وأمر طبيعي ان يمتد المذهب المالكي وينتشر شرقا وغربا وشمالا وجنوبا وصاحبه مازال على قيد الحياة، لحصول الامام مالك على درجة عالية من الاجتهاد ولكونه أعلم أهل زمانه على شهادتهم واعترافهم له بذلك، ولكونه قدوة في النقل وتحرّي الصدق في الأخذ[5].

---

[1] الجيدي، المباحث، ص19

[2] ابن فرحون: المصدر السابق، ص47

[3] تيمور باشا، المرجع السابق، ص19

[4] نفسه، ص21-22

[5] ابن فرحون: المصدر السابق، ص48

ثانيا: المذهب الشيعي الإسماعيلي

1-ترجمة للإمام إسماعيل بن جعفر الصادق: هو الابن الأكبر لجعفر الصادق وأحب أبنائه اليه، أمّه فاطمة بنت الحسين بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه، ولحب أبيه الشديد اليه وتعلقه به ظنّ قوم أنه الامام بعد أبيه خاصة وأنه أكبر أبنائه، مات في حياة أبيه بمنطقة في الجهة الشرقية الشمالية من المدينة المنورة تسمى "العريض" سنة 138هـ وقيل سنة 142هـ، وحُمل إلى المدينة ودفن في البقيع[1].

يُقال أنّ أبيه أمر بوضع لحده على الأرض وكشف الغطاء عن وجهه مرارا وتكرارا لإزالة الشبهة عن الظانين بخلافته، وبعد وفاة أبيه الامام جعفر الصّادق بقي فريق على القول بإمامته وهم الإسماعيلية الذين انقسموا فيما بعد إلى قسمين، قسم ثبت على امامة إسماعيل وأنّه حي، وقسم قالوا بإمامة ابنه محمد بن إسماعيل، له من الأولاد محمد وأحمد وعلي[2].

كان إسماعيل بن جعفر الصادق ممن استهوته الخطابية وأغوته فوقع في شراكها، وكان يعيش في كنفها لأنّه شديد التواصل مع أبي الخطّاب نفسه، لذلك كان ينتهج منهجهم ويسير على رأيهم ويأتي إلى أماكن تواجدهم ويقوم بأفعالهم، وهو الأمر الذي كان يُقلق والده الذي اضطرّ للتبرأ منه ومن أبي الخطّاب والخطابيين الآخرين[3].

2-التعريف بالمذهب الشيعي الاسماعيلي وجذوره: هو مذهب فرقة من فرق الشيعة[4] الذين حملوا هذا الاسم –الإسماعيلية–لانتسابهم إلى إسماعيل بن جعفر الصادق الذين ردّوا الامامة اليه نصا باتفاق أولاده، غير أنهم اختلفوا في قضية وفاته في حياة أبيه، فمنهم من قال ان موته صحيح

---

[1] سيد حسين الحسيني الزرباطي: **بغية الحائر في أحوال أولاد الامام الباقر**، طبعة جديدة منقحة مزيدة مع الترجمة الفارسية، د.م.نش، 1438هـ/2018م، ص101، الحسن بن موسى النوبختي: **فرق الشيعة**، منشورات الرضا، ط1، بيروت، 2012، ص115

[2] الزرباطي، المرجع السابق، ص101

[3] احسان إلهي ظهير: الإسماعيلية **تاريخ وعقائد**، إدارة ترجمان السنة، لاهور باكستان، 1987، ص56

[4] **الشيعة:** هم الذين شايعوا عليا رضي الله عنه على الخصوص، وقالوا بإمامته وخلافته نصا ووصية، اما جليا أو خفيا، واعتقدوا ان الامامة لا تخرج من أولاده وان خرجت فبظلم غيره أو بتقية من عنده، محمد عبد الكريم أبو الفتح (الشهرستاني): **الملل والنحل**، تح عبد العزيز محمد الوكيل، مؤسسة الحلبي وشركاه للنشر والتوزيع، القاهرة، 1978، ج1، ص146

ومنهم من قال عكس ذلك، وأن اظهار موته كان تقية من خلفاء بني العباس[1]، وقيل أنّهم ينتسبون إلى زعيمهم محمد بن إسماعيل ابن جعفر الصادق الذين يزعمون ان أدوار الامامة انتهت به، اذ كان هو السابع من محمد صلى الله عليه وسلم، وأدوار الامامة سبعة عندهم[2].

وتعود الإسماعيلية إلى فرقتي الخطابية والباطنية، فالأولى اتباعها من الغلاة الذين ادّعوا التشيع، وينسبون إلى أبي الخطاب، واسمه محمد بن أبي زينب مقلاص الاجدع الاسدي الكوفي، الذي ترعرع في الكوفة وعاصر الامام جعفر الصادق، وقبله الامام محمد الباقر، حيث ابدى الاستقامة في أول أمره، ولما ظهر منه الانحراف ما ظهر عمل جعفر الصادق على التبرُّإ منه وطرده من مجلسه، فاجتمع اتباعه حوله في الكوفة وازداد عددهم حتى تجاوزوا الألوف وسعوا وراء نشر أفكارهم حتى وصل أمرهم إلى والي الكوفة آنذاك وهو عيسى بن موسى، فعمل على مواجهتهم فقتل منهم عددا كبيرا وألقى القبض على زعيمهم أبي الخطاب الذين كان مصيره القتل والصلب وذلك سنة 138هـ، وبعدها تحول من بقي منهم على قيد الحياة إلى محمد بن إسماعيل وأعلنوا ولاءهم له وصاروا من الاسماعيلية[3].

أمّا الباطنية التي تعود جذور الإسماعيلية اليها كذلك كما أوضحنا آنفا، فهي التي يعمل أتباعها على تأويل النصوص الشرعية من معناها الظاهر إلى معاني باطنية غير معهودة، ويشترك فيها أربعة فرق كبرى وهم (الإسماعيلية، القرامطة، النصيرية، الدروز)، وكلُّ هذه الفرق تصنّف في خانة التشيُّع لآل البيت وتشترك مع بعضها في القول بالباطن[4].

إنّ العمل على نشر أفكار الباطنية لم يكن عملا فرديا معزولا وإنما نشاطا جماعيا منظّما تزعّمه مجموعة من الثوريين أشتهر منهم شخصيتان بارزتان وهما ميمون القداح وابنه عبد الله ابن ميمون اللذان يعود لهما الفضل في ظهور الحركة الباطنية ورواج أفكارها ويعتبران من أهم شخصيات الدعوة

---

[1] الشهرستاني: المصدر السابق، ج1، ص167-168

[2] أبو حامد الغزالي: **فضائح الباطنية**، تح عبد الرحمن بدوي، مؤسسة دار الكتب الثقافية، الكويت، 1974، ص16

[3] سليمان عبد الله السلومي: **أصول الإسماعيلية (دراسة–تحليل–نقد)**، دار الفضيلة، ط1، الرياض، 2001، مج1، ص209-211-210

[4] نفسه، ص226

وأبرزها، ومعروف عليهم بكثرة ملازمة زعماء الإسماعيلية وائمتها وهو الشيء الذي ينم على مؤامرة مدبرة لتدمير الإسلام وأهله لما تحمله هذه الشخصيات من حقد وكراهية عليهم[1].

ويعود أصل أسرة القداح التي ينحدر منها ميمون بن ديصان وابنه عبد الله على حسب ما جاء في كتاب أصول الإسماعيلية لسليمان عبد الله السلومي ناقلا عن الباقلاني، بأن القداح جد عُبيد الله كان مجوسيا، ولما دخل عُبيد الله[2] بلاد المغرب ادعى النسب العلوي، ولم يتعرف عليه أحد من علماء النسب[3].

3-من معتقدات الإسماعيلية: تقوم الإسماعيلية على عقيدة شاملة لكل أمور الحياة تترتب في حقائق أزلية ثابتة، تماشت مع الكون منذ البداية، وتستمر معه إلى ما لا نهاية، والعقيدة الأساسية الجامعة للإسماعيلية تتمثل في حقائق ثابتة وهي:

1-علم الظاهر ويتمثل في فرائض الدين وأركانه.

2-علم الباطن ويتمثل في التأويل، ومُثُل عليا للتنظيمات الاجتماعية، ومُثُل عليا للإدارة السياسية والتي تتداخل فيما بينها، وذهبوا إلى حد تكفير من يعتقد بالظاهر دون الباطن أو العكس[4].

بالإضافة إلى ذلك فانهم يعتقدون بما يلي:

-يُقرُّون بوجود الهين قديمين لا أول لوجودهما من حيث الزمان، أحدهما علة لوجود الثاني، واسم العلة السابق واسم المعلول التالي، ويزعمون أنّ الأول هو التام بالفعل والثاني بالإضافة اليه ناقص[5].

---

[1] السلومي، المرجع السابق، ص237

[2] **عُبيد الله المهدي:** اختلف الناس في نسبه إلى الحسين بن علي عليهما السلام بين مؤيد ومعارض، ولد بسلمية من بلاد الشام وقيل ببغداد، سنة 260هـ كان مطلوب من بني العباس إلى أن وصل إلى سجلماسة سنة 296هـ، فأُعتقل بها رفقة ابنه أبي القاسم إلى ان حرره أبوعبد الله الشيعي وأصبح أول خليفة للدولة الفاطمية، استقر بالمهدية بعد أن بناها وتوفي يوم الاثنين 14 ربيع الأول سنة 322هـ وكان عمره آنذاك 62 أو63 سنة، أبو عبد الله محمد بن علي بن حماد: **أخبار ملوك بني عبيد وسيرتهم**، تح ودرا د. التهامي نقرة ود. عبد الحليم عويس، دار الصحوة، القاهرة، د.س.ط، ص35 وما بعدها.

[3] السلومي، المرجع السابق، ص239

[4] مصطفى غالب: **تاريخ الدعوة الإسماعيلية**، دار الاندلس للطباعة والنشر والتوزيع، ط2، بيروت، د.س.ط، ص39

[5] الغزالي، المصدر السابق، ص38

-يعتبرون النبي شخص فاضت عليه من السابق-بواسطة التالي-قوة قدسية مهيأة، وأما القرآن فهو تعبير محمد عن المعارف التي فاضت عليه الذي هو المراد باسم جبريل[1]

-يعتقدون ان لكل عصر امام معصوم يقيم الحق ويعتبر مرجعا في تأويل الظواهر وحل الإشكالات في القرآن والاخبار والمعقولات، وان ذلك جار في نسبهم ولا ينقطع ابدا[2].

-يتفقون على انكار القيامة، وان المشاهد التي تمر علينا في حياتنا من تعاقب لليل والنهار ومراحل تكوين الانسان لا تنقطع ابدا[3].

لذلك نجد في معتقدات مذهبهم شبه كبير باليهود ويظهر ذلك على سبيل المثال لا الحصر من خلال ما يلي:

-عندما حصر اليهود الجهاد في سبيل الله بخروج المسيح الدجال، ونزول سيف من السماء، كذلك حصرت الرافضة الجهاد في خروج المهدي ونداء المنادي من السماء.

-وبما أن اليهود يؤخرون الصلاة إلى موعد تشابك النجوم، فان الرافضة يؤخرون صلاة المغرب إلى وقت اشتباك النجوم كذلك.

-ويشترك اليهود مع الروافض في اسدال الثياب عند الصلاة[4].

---

[1] الغزالي، المصدر السابق، ص41

[2] نفسه، ص42

[3] نفسه، ص44

[4] تقي الدين أحمد بن عبد الحليم أبو العباس (ابن تيمية): **منهاج السنة النبوية**، تح محمد رشاد سالم، د.د.ط، د.م.ط، د.س.ط، ج1، ص24-25

المبحث الثاني: أسباب دخول المذهبين، السنّي المالكي والشيعي الاسماعيلي إلى بلاد المغرب الإسلامي

أولا: أسباب دخول المذهب السنّي المالكي إلى بلاد المغرب

1-بداية دخول المذهب السنّي المالكي إلى بلاد المغرب الإسلامي: لم تتناول المصادر بشكل كاف أسماء لعلماء من المغربين الأوسط والأقصى[1] نهلوا بطريقة مباشرة من الامام مالك، في حين تم التطرق لعدد كبير من الافارقة والأندلسيين لعل عددهم يتجاوز الثلاثين، أمثال بن زياد (ت 183هـ)، عبد الله بن غانم (ت190هـ)، وأسد بن الفرات (ت 213هـ)[2].

ويرجع الفضل في انتشاره بالغرب الإسلامي عموما والمغرب[3] الإسلامي على وجه الخصوص إلى سحنون التنوخي[4] الذي تلقى تعليمه الأولي بالقيروان، وأخذ موطأ مالك على ابن زياد (ت183هـ) بتونس ثم رحل إلى المشرق، وأخذ من شيوخ عدة هناك منهم عبد الرحمان ابن القاسم الذي لازمه كثيرا[5]وأخذ عنه المدونة والموطأ، وتأدب بآداب أهل المدينة حتى في العيش، حتى أصبح بذلك مدنيا بأتم معنى الكلمة ليس من الناحية الفقهية وفقط، بل حتى من الناحية السلوكية، وبهذا الكم العلمي والمعرفي وبسلوكياته الجديدة التي اكتسبها هناك عاد سحنون إلى افريقية[6] سنة

---

[1] **المغربان الأوسط والأقصى:** المغرب الأوسط هو الذي يتمثل في حدود بلاد الجزائر الحالية، والمغرب الأقصى هو الذي عُرف سابقا باسم العاصمة مراكش، وخط التقسيم الشمالي بينهما هو مجرى وادي ملوية أي بين مدينة تلمسان بالمغرب الأوسط ومدينة تازا بالمغرب الأقصى، سعد زغلول عبد الحميد: **تاريخ المغرب العربي من الفتح إلى بداية عصر الاستقلال**، منشأة المعارف، الإسكندرية، 1993، ج1، ص69

[2] نجم الدين الهنتاتي: **المذهب المالكي بالغرب الإسلامي إلى منتصف القرن 5هـ/11م**، منشورات تبر الزمان، تونس، 2004، ص37

[3] **بلاد المغرب:** هو مصطلح يطلقه الكتّاب العرب على الأقاليم الواقعة غرب مصر، والتي تشمل شمال القارة الافريقية وتتكون من البلاد الليبية حاليا وتونس والجزائر بصحرائها المترامية إلى تخوم السودان وكذلك المغرب الأقصر وجاءت هذه التسمية لوقوع المنطقة في الاتجاه المحدد لغروب الشمس، سعد زغلول: المرجع السابق، ج1، ص61

[4] **سحنون التنوخي:** هو أبو سعيد عبد السلام بن سعيد بن حبيب التنوخي، أصله من حمص وقدم أبوه إلى القيروان في جند حمص ربما سنة 155هـ وولد على الأرجح بالقيروان سنة 160 أو161هـ، الهنتاتي: المرجع السابق، ص45

[5] الهنتاتي، المرجع السابق، ص45-46

[6] **افريقية:** يُقال انها تعادل افريقية الرومانية الأصلية، أي البلاد التونسية الحالية بالإضافة إلى بعض الأجزاء الغربية من طرابلس والتخوم الشرقية للجزائر، سعد زغلول: المرجع السابق، ج1، ص86

191هـ/806م وحمل على عاتقه مسؤولية التعريف بالمذهب المالكي فزاده ذلك شهرة وأصبح مقصد طلبة العلم الذين التفوا من حوله بأعداد هائلة وهم من شتى انحاء بلاد الغرب الاسلامي[1]، لذلك قال القاضي عياض في كتابه تراجم أغلبية ناقلا عن ابن عجلان الاندلسي: "ما بورك لأحد بعد أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، ما بورك لسحنون في أصحابه، انهم بكل بلد أئمة"[2].

2-أسباب دخول المذهب السنّي المالكي لبلاد المغرب الاسلامي: دخل المذهب المالكي لبلاد المغرب الإسلامي بتظافر مجموعة من الأسباب والتي يمكن اجمالها فيما يلي:

1-قوة شخصية صاحب المذهب وتمسكه الشديد بالسنّة، ومحاربته للبدع، واقتفائه آثار الصحابة رضوان الله عليهم، مما دفع الناس للوثوق به والانقياد إلى فكره والاقتناع بمذهبه، لأنه الأقرب إلى روح الشريعة، إضافة إلى ما ظهر على مالك من حسن السيرة، والاستقامة، والجدية، والتزامه باتباع ما جاء في الكتاب والسنة، والقياس الصحيح، الذي يلجأ اليه فيما بعد، وفي حال تعذر الامر، يعتذر عن الإفتاء والحكم ويكتفي بكلمته الشهيرة "لا أدري"، والتي لم تزده الا ثقة، وللأثر الوارد في شأن عالم المدينة عن أبي هريرة قوله صلى الله عليه وسلم: «يوشك ان يضرب الناس أكباد الابل في طلب العلم، فلا يجدون عالما أعلم من عالم المدينة»[3]، حيث يقول أهل المدينة أن المقصود به مالك بن أنس[4].

2-ملاءمة المذهب المالكي لطبيعة المغاربة على اعتبار انه مذهب عملي يعتمد على الواقع ويأخذ بعادات وسير الناس وأهل المغرب بطبعهم يميلون إلى البساطة والوضوح ولا يلتفتون إلى المسائل المعقدة والمكلفة، بالإضافة إلى كون المدينة المنورة مصدر العلوم الإسلامية كلها، ففيها ظهرت وترعرعت، ومنها انتشرت عبر مختلف الأقطار الإسلامية، والمدينة كما هو معلوم لها مكانة خاصة في

---

[1] الهنتاتي، المرجع السابق، ص49

[2] عياض بن موسى بن عياض السبتي (القاضي عياض): **تراجم أغلبية**، تح محمد الطالبي، نشر الجامعة التونسية، تونس، 1968، ص120

[3] رواه الترمذي في سننه، وقال حديث حسن، محمد بن عيسى بن سورة الترمذي: **سنن الترمذي وهو الجامع الكبير**، تح ودر دار التأصيل مركز البحوث وتقنية المعلومات، ط1، د.م.ط، 2014، مج4، ص44

[4] عمر الجيدي: نظرات في تاريخ المذهب المالكي، **مجلة دعوة الحق**، العدد 223، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المملكة المغربية، يوليو1982، ص168

نفوس المغاربة[1]ومن أجل ذلك شدّوا الرحال اليها حيث يقول ابن خلدون: "وأما مذهب مالك رحمه الله تعالى فاختص بمذهبه أهل المغرب والأندلس، وان كان يوجد في غيرهم الا انهم لم يقلدوا غيره الا في القليل لما أن رحلتهم كانت غالبا إلى الحجاز وهو منتهى سفرهم"[2]، هاته الاعتبارات كلها جعلت المغاربة يتشبثون بالمذهب ودفعت بفقهائهم إلى مبايعة الامراء على العمل بكتاب الله وسنة نبيه ومذهب مالك، كما اشترط ذلك صراحة الفقيه الورع أبو إسحاق السبائي[3].

3-مناهضة فقهاء المالكية لبعض فقهاء الأحناف الذين عُرفوا بتواطُئهم مع الأمراء فأسندوا إليهم مهام الرئاسة والقضاء ونكلوا بالمالكية، وهذا ما دفع الأحناف إلى مسايرة حياة الترف التي كان يعيشها الاغالبة فأصدروا أحكام شرعية متساهلة كتحليل النبيذ، مما دفع بمحمد بن سحنون إلى تأليف كتاب في تحريمه[4]، وكذلك قولهم بخلق القرآن الذي مال اليه الأغالبة وفقهائهم الأحناف، مما أدى إلى اقبال والتفاف المغاربة حول المذهب المالكي[5].

4-التشابه البيئي بين الحجاز وبلاد المغرب، حيث يرى ابن خلدون أن البداوة كانت غالبة على أهل المغرب والاندلس، وبالتالي كانوا أميل لأهل الحجاز، والمقصود بالبداوة هنا التشبث بتقاليد العرب لا البداوة بمعنى التخلف والخشونة[6].

5-دور الحكام خاصة في الاندلس (الامويين) والمغرب الأقصى (الادارسة العلويين) في التمكين للمذهب المالكي لمناهضة ومجابهة مذاهب الخوارج الذي تسرب للمغرب منذ أوائل القرن الثاني الهجري والذي يُنكر حكم الأمويين والعلويين[7].

---

[1] الجيدي، المباحث، ص36

[2] عبد الرحمن بن خلدون: **تاريخ ابن خلدون**، ضبط الأستاذ خليل شحاذة، مرا/ د. سهيل زكار، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت لبنان، 2001، ج1، ص568

[3] القاضي عياض: المدارك، ج6، ص73

[4] نفسه، ج4، ص207

[5] الجيدي، النظرات، ص169

[6] نفسه، ص171

[7] الجيدي، النظرات، ص172

ثانيا: أسباب دخول المذهب الشيعي الاسماعيلي إلى بلاد المغرب

1-الأسباب المباشرة: تعود الأسباب المباشرة لدخول التشيع إلى بلاد المغرب الإسلامي الى:

أ-قدوم رجلين من المشرق سنة 145هـ بأمر من الامام جعفر الصادق، والذي أوصاهما بنشر ظاهر علم الائمة، وأن يتوغلا في بلاد البربر ولا يكتفيا بافريقية، وأن يفترقا عن بعضهما البعض فيما بعد، فنزل الأول بمرماجنة[1]، وبالضبط في موضع يدعى تالا، ويُعرف هذا الرجل باسم أبي سفيان، الذي تزوج هناك وذاع صيته في العبادة والذكر، حتى أصبح مقصد أهل تلك النواحي، يأتونه ليتزودوا بفضائل أهل البيت، وبفضله تشيع أهل مرماجنة، وأهل الأربس[2]، ويُقال أنّه كان سببا في تشيع أهل نفطة كذلك[3].

أما الثاني، فيعرف باسم الحلواني، الذي وصل سوجمار، ونزل بمنطقة الناظور حيث تزوج هو الآخر، وأُشتهر بالعبادة والعلم فقصده الناس من مختلف القبائل، وبفضله تشيع عدد كبير من كتامة[4]، ونفزة، وسماتة، وهو الذي كان يقول حسب ما جاء في كتاب افتتاح الدعوة للقاضي النعمان: "بُعثت-أنا وأبو سفيان -فقيل لنا: اذهبا إلى المغرب فإنكما تأتيان أرضا بورا، فاحرثاها وكرباها وذللاها إلى أن يأتيها صاحب البذر، فيجدها مذللة فيبذر حبه فيها"[5].

ب-دخول صاحب البذر سنة 280هـ إلى بلاد المغرب، وهو أبو عبد الله الشيعي[6]، بعد أن مات أبو سفيان، بالمنطقة التي استقر فيها واتخذها مركزا لدعوته وهي مرماجنة، ولحقه فيما بعد صاحبه

---

[1] **مرماجنة:** قرية صغيرة في تونس تقع على مرحلة من سبيبة، علي حسني الخربوطلي: أبو**عبد الله الشيعي مؤسس الدولة الفاطمية**، المطبعة الفنية الحديثة، القاهرة، 1972، ص27

[2] **الأربس:** مدينة بافريقية كورتها واسعة، بينها وبين القيروان ثلاثة أيام من جهة الغرب، ياقوت الحموي: **معجم البلدان**، دار صادر، بيروت، د.س.ط، ج2، ص136

[3] القاضي النعمان: **افتتاح الدعوة**، تح فرحات الدشراوي، الشركة التونسية للتوزيع، ط2، تونس، 1986، ص26-27

[4] **كتامة:** هي مجموعة القبائل البربرية التي تنتمي إلى فرع البرانس، وهم عناصر محلية أصيلة ارتبطوا ببلاد شمال افريقيا في المناطق الشرقية من أرض المغرب الأوسط، ولم تأت بهم الهجرات البشرية، موسى لقبال: **دور كتامة في الخلافة الفاطمية منذ تأسيسها حتى منتصف القرن الخامس الهجري**، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1979، ص92 وما بعدها، وينظر أيضا:
R. basset. Encyclopédie de l'islâm. G-P Maisonneuve. Paris. 1975. T5.p544

[5] القاضي النعمان: الافتتاح، ص28-29

[6] **أبوعبد الله الشيعي:** هو أبو عبد الله الحسن بن أحمد بن محمد بن زكريا القائم بدعوة عبيد الله المهدي، من أهل صنعاء باليمن دخل افريقية وملكها للمهدي فقامت الدولة الفاطمية، قُتل بأمر من المهدي رفقة أخيه أبي العباس سنة 298هـ بمدينة رقادة، أبو العباس بن خلكان: **وفيا ت الأعيان وأنباء أبناء الزمان**، تحقيق احسان عباس، دار صادر، بيروت، ج2، ص192

الحلواني، الذي دُفن بالمنطقة التي نزل فيها وهي الناظور، وكان ذلك بعد أن لحق بمن لحقه أبا عبد الله الشيعي، مثل أبو حيون المعروف بأبي المفتش[1].

وكان أبوعبد الله الشيعي قد انطلق من اليمن إلى بلاد المغرب بأمر من صاحبه ابن حوشب، حيث تحين فرصة وجود الكتاميين بالمشرق لأداء فريضة الحج أين تعرف عليهم وحاز على حبهم في وقت وجيز بفضل فطانته وطريقة مخاطبته التي تستهدف العقل والوجدان، فأفصح لهم عن وجهته إلى مصر وقصده التعليم فيها فكانت تلك المسافة كافية لزيادة تعلقهم به حتى اصروا على مرافقته لهم إلى بلاد المغرب[2] فوصلوا طرابلس ومنها قسطيلية وبلغوا سوجمار ثم رحل الجميع إلى أرض كتامة وكان ذلك في يوم الخميس 15 ربيع الأول سنة 280هـ[3] واستقر بجبل ايكجان[4] بمنطقة فج الأخيار وفيها قال: "هذا فج الأخيار، وما سمي الا بكم، ولقد جاء في الآثار: للمهدي هجرة تنبو عن الأوطان، ينصره فيها الأخيار منه أهل ذلك الزمان، قوم اسمهم مشتق من الكتمان، وبخروجكم في هذا الفج سمى فج الأخيار"[5].

ذاع صيت أبي عبد الله الذي كان يُسمى عندهم بأبي عبد الله المشرقي[6]، وعظُم شانه وقصدته أفراد العديد من القبائل، حتى وصل الامر إلى حد الاقتتال بين كتامة ومختلف القبائل البربرية عليه، وكان لا يذكر المهدي أبدا، ويكتفي بذكر فضائل علي بن أبي طالب وأولاده وأحفاده، وما لبث أن أعلن عن أهدافه الحقيقية وقال لهم أنا صاحب البذر الذي أخبركم به أبو سفيان والحلواني فانتشر التشيع في بلاد المغرب مع أبي عبد الله الشيعي بعد ان وجد حرثه مُهيئا، واستمر في جهاده إلى أن استتبت له الأوضاع وأصبح له من القوة ما يمكنه من دعوة الامام عُبيد الله المهدي الذي أرسل في طلبه وفد من كتامة، فوافوه بسلمية من أرض حمص، وأخبروه بما منّ الله عليهم وبأنهم في انتظاره[7].

---

[1] القاضي النعمان: الافتتاح، ص29-30

[2] الخربوطلي، المرجع السابق، ص31-32-33

[3] نفسه، ص37-38

[4] **ايكجان**: جبل قرب سطيف على مرحلة ونصف من بجاية تسكنه كتامة، الخربوطلي: أبوعبد الله الشيعي، ص38

[5] تقي الدين أحمد بن علي (المقريزي): **اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا**، مطابع الأهرام التجارية، قليوب (مصر)، د.س.ط، ج 1، ص57

[6] عز الدين أبو الحسين علي بن أبي الكرم (ابن الاثير): **الكامل في التاريخ**، مطبعة بريل، مدينة ليدن المحروسة، 1866، ج8، ص25

[7] نفسه، ص39-48-49

2-الأسباب غير المباشرة: توفرت جملة من الأسباب غير المباشرة التي أدت إلى انتشار المذهب الشيعي الإسماعيلي في بلاد المغرب الإسلامي منها ما يلي:

1-حداثة عهد البربر بالإسلام وعدم قدرتهم على التعمق في فهم خبايا المذهب الشيعي الإسماعيلي وما يشكله من أخطار عن الدين الإسلامي، فأقبلوا عليه مباشرة لمجرد عدائهم للأغالبة السنيين[1].

2-اقبال البربر على التشيع بدافع حبهم لآل البيت لدرجة أنهم لم يكونوا قادرين على التفرقة بين التشيع وهذا الحب، وهو الأمر الذي استغله الدُّعاة من الحلواني وأبي سفيان إلى أبي عبد الله الشيعي الذين اعتمدوا في دعوتهم على نشر فضائل علي بن أبي طالب وأولاده[2].

3-ظروف الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية جعلت من أرض بلاد المغرب الإسلامي جاهزة للبذر الذي قام به أبوعبد الله الشيعي[3].

4-الروح القومية لدى البربر التي كانت تدفعهم دائما إلى حركات انفصالية اشبه ما تكون بالحركات الانفصالية التي ظهرت بالمشرق بين الموالي الفرس، فنتج عن ذلك رواج المذاهب ومنها المذهب الشيعي الإسماعيلي بين البربر بدافع التحرر من السلطة الحاكمة التي اثقلت كاهلهم بالضرائب كما يذكر ذلك البعض[4].

5-طموح الشيعة الكبير بالمقارنة مع باقي الفرق الأخرى التي وصلت إلى بلاد المغرب، خاصة بعد فشلهم بالمشرق مما حتّم عليهم التعويض ببلاد المغرب، بالإضافة إلى ضخامة انجازاتهم السياسية والتي بفضلها تمكنوا من القضاء على دول الخوارج والحدّ من العلويين[5].

---

[1] الخربوطلي، المرجع السابق، ص39

[2] نفسه، ص40

[3] نفسه، ص28

[4] نفسه، ص29-30

[5] محمد بركات البيلي: **التشيع في بلاد المغرب الإسلامي حتى منتصف القرن الخامس الهجري**، دار النهضة العربية، القاهرة، 1993، ص55

6-اجتهاد الأئمة والدعاة في نشر المذهب الشيعي الإسماعيلي في المناطق النائية لإيمانهم بنجاح المهمة، خاصة وإنها مناطق بعيدة عن مركز الخلافة العباسية، التي يصعب عليها وضع حد لنشاطهم، لذلك اختاروا اليمن لبعدها وكذلك بلاد المغرب[1].

7-رغبة الشيعة الإسماعيلية في تحقيق آمالهم القديمة بتأسيس دولة اسماعيلية فاطمية علوية شيعية، ويظهر ذلك من خلال قول الامام لابنه عبيد الله بعد ان وردته أنباء انتصارات ابن حوشب في اليمن: "هذه دولتك قد قامت، لكن لا أجد ظهورها الا من المغرب"[2].

[1] الخربوطلي، المرجع السابق، ص26

[2] نفسه، ص24

الفصل الأول: قيام الدولة الفاطمية، نظام ومراحل حكمها، وسياستها المذهبية ببلاد المغرب

المبحث الأول: تأسيس الدولة الفاطمية ونظام حكمها

أولا: تأسيس الدولة الفاطمية

ثانيا: نظام حكمها

المبحث الثاني: مراحل حكمها ببلاد المغرب الإسلامي(297هـ-362هـ/910-973م)

أولا: مرحلة حكم عُبيد الله المهدي (297-322هـ/910-934م)

ثانيا: مرحلة حكم القائم بأمر الله (322-334هـ/934-945م)

ثالثا: مرحلة حكم إسماعيل المنصور (334-341هـ/945-952م)

رابعا: مرحلة حكم المعز لدين الله (341-362هـ/952-973م)

المبحث الثالث: السياسة المذهبية الفاطمية

أولا: قبل قيام الدولة الفاطمية

ثانيا: بعد اعلان قيام الدولة الفاطمية

المبحث الأول: تأسيس الدولة الفاطمية ونظام حكمها

أولا: تأسيس الدولة الفاطمية

1-التمهيد لقيام الدولة الفاطمية:

عمل أبو عبد الله الشيعي على توطيد أركان الدولة الفاطمية في شمال افريقية على حساب الدولة الأغلبية[1] ابتداء من سنة 289هـ ولم يكتف بنشر الدعوة فقط، حيث سيطر على مجال جغرافي واسع خاصة بعد موت إبراهيم الثاني أمير الأغالبة وذلك سنة 291هـ، وتقلد زيادة الله الثالث[2] للأمور فيما بعد وهو الذي انصرف للهو والترف حيث كان في صالح الشيعة الذين استغلوه في تعبيد الطريق لإعلان قيام دولتهم[3].

قام زيادة الله الثالث بجمع العساكر وقدّم إبراهيم بن حنيش وهو من أقاربه على أربعين ألفا وأمده بالأموال، فانضم اليه عدد كثير ونزل مدينة قسنطينة وأتاه الكثير من الكتاميين الرافضين لابي عبد الله الشيعي، وقضى في طريقه على عدد كثير من أصحاب ابي عبد الله، اقام إبراهيم ستة أشهر بقسنطينة وأبو عبد الله متحصن بالجبل فزحف اليه بجيشه لما تأخر خروجه، فانتصر أبو عبد الله وغنم جميع ما معهم وقتل منهم عددا كثير وسار إبراهيم إلى القيروان[4].

لم يكتف أبو عبد الله الشيعي بهذا الحد، بل فتح عدة مدن وضايق زيادة الله الذي اشتد عليه الحال حتى خرج بنفسه ووصل الأربس سنة 295هـ، وسير جيشا بقيادة ابن عمه إبراهيم بن الأغلب بينما انهمك هو في لعبه ولهوه، فاستغل ذلك أبو عبد الله وشرع في أخذ المدن صلحا أو عنوة فاستولى

---

[1] **الدولة الأغلبية**: أسسها إبراهيم بن الأغلب التميمي سنة 184هـ/799م وأعلن ولاؤه للعباسيين، توارث أبناؤه الحكم من بعده وانتهت دولتهم على يد أبي عبد الله الشيعي سنة 296هـ/908م، مصطفى شاكر: **موسوعة دول العالم الإسلامي ورجالها**، دار العلم للملايين، ط1، بيروت، 1993، ص55

[2] **زيادة الله الثالث**: أبو مضر زيادة الله بن عبد الله بن الأغلب آخر ملوك بني الأغلب في افريقية، كانت مدة ملكه إلى أن خرج من القيروان خمس سنين وتسعة أشهر وخمسة عشر يوما، هرب بعد هزيمة جيوشه أمام الشيعي إلى المشرق، توفي بالرقة وحمل جثمانه إلى القدس الشريف ودفن بها سنة 296هـ/908م، ابن خلكان: المصدر السابق، مج2، ص193

[3] محمد جمال الدين سرور: **تاريخ الدولة الفاطمية**، دار الفكر العربي، مصر، 1995، ص24

[4] المقريزي، الاتعاظ، ج1، ص61-62

على مجانة، تيفاش، مسكيانة، تبسة، وتوجّه إلى إبراهيم وقتل من اتباعه العدد الكثير ثم عاد إلى جبل ايكجان[1].

ولما حلّ فصل الربيع حشد الطرفان (أبو عبد الله الشيعي وزيادة الله الثالث) جيشاهما واقتتلا اقتتالا شديدا كان النصر فيه حليف ابي عبد الله الشيعي وكان ذلك في آخر جمادى الثانية سنة 296هـ، ففر زيادة الله إلى الديار المصرية ودخل إبراهيم الأغلب إلى مدينة القيروان وقصد دار الامارة ونادى في الناس بذم زيادة الله وتصغير أمر أبي عبد الله الشيعي، الذي وعد الناس بقتاله ومن أجل ذلك طلب منهم الأموال فردوا عليه قائلين: "انما نحن فقهاء وعامة وتجار، وما في أموالنا ما يبلغ غرضك" ثم ثاروا عليه حتى خرج من بينهم[2].

دخل أبو عبد الله الشيعي مدينة رقادة[3] في يوم السبت مستهل رجب سنة 296هـ فأمّن الناس عن أرواحهم وممتلكاتهم وجمع أهل الشر وقتلهم واستقبله أعيان ووجهاء وفقهاء القيروان[4] بالسلام والترحيب وهنأوه بالفتح المبين وذموا له زيادة الله فقال لهم: "وما كان الا قويا وله منعة ودولة شامخة، وما قصر في مدافعته، ولكن أمر الله لا يعاند ولا يدافع"[5]، ولما كان يوم الجمعة أمر الخطباء بالقيروان ورقادة فخطبوا ولم يذكروا أحدا، وأعطى أوامره بضرب السكة بدون أي اسم، وجعل في الوجه (بلغت حجة الله)، وفي الظهر (تفرق أعداء الله)، ونقش على السلاح (عدة في سبيل الله)، ووسم على أفخاذ الخيل (الملك لله)، ولما استتبت الأمور في رقادة لأبي عبد الله وفي سائر بلاد افريقية أتاه أخاه العباس ففرح به فرحا كبيرا[6]، وهكذا نستنتج ان الصراعات والحروب بين زيادة الله الثالث وأبي عبد الله الشيعي لم تتوقف إلى غاية سنة 296هـ حيث دارت واقعة الأربس التي أدت إلى زوال

---

[1] المقريزي، الاتعاظ، ج1، ص62

[2] نفسه، ص63

[3] **رقادة**: بلدة كانت بافريقية، بينها وبين القيروان أربعة أيام، والمعروف أن الذي بناها هو إبراهيم بن أحمد بن الأغلب ابتداءا من سنة 263هـ/876م، فلما غادرها عبيد الله إلى المهدية دخلها الوهن، وانتقل عنها ساكنوها، ولما ولي معد بن إسماعيل خرب ما بقي من آثارها، ولم يبقى منها شيئا غير بساتينها، ياقوت الحموي، المصدر السابق، ج3، ص55

[4] **القيروان**: هي مدينة عظيمة بافريقية وليس بالغرب مدينة أجلّ منها، بناها عقبة ابن نافع الفهري لمنع ارتداد البربر وهي في طرف البر بعيدة عن البحر خوفا عليها من مراكب الروم، عُمّرت المدينة واستقامت سنة 55هـ، ياقوت الحموي: المصدر السابق، ج1، ص420-421

[5] المقريزي، الاتعاظ، ج1، ص63

[6] نفسه، ص64

دولة الأغالبة بافريقية وفي المقابل امتداد نفوذ الفاطميين إلى أرجاء واسعة من بلاد المغرب حتى أصبحوا أصحاب القرار في مختلف المناطق الواقعة إلى الغرب من مدينة القيروان وبالتالي أصبح الأمر مهيئا للإعلان عن قيام الدولة الفاطمية.

2-قُدوم عبيد الله المهدي لبلاد المغرب

كان أصحاب الدعوة الإسماعيلية في بلاد المغرب يمنّون النفس لقيام الدولة الفاطمية على أيديهم بعد قدوم المهدي إليهم، ونفس الحال بالنسبة لدعاة الاسماعلية في اليمن، لذا أوفد أبو عبد الله الشيعي وفدا من رجال كتامة إلى المهدي بعد ان استقرت الأوضاع في بلاد المغرب ودعاه للقدوم من أجل الإعلان عن قيام دولتهم المنشودة[1]، وكان الواقع السياسي لبلاد المغرب آنذاك مقسم بين دولة الأغالبة في افريقية والأدارسة بالمغرب الأقصى وامارة بني مدرار بسجلماسة وامارة الرستميين بتاهرت[2] بالمغرب الأوسط[3]، ولما وصل الوفد إلى سلمية[4] لطلب المهدي الذي عظم أمره هناك، واصبح مطلب الدولة العباسية[5]، ففر مع ابنه ابي القاسم نزار ولما وصل إلى مصر أقام بها مستترا بزي التجار ثم غادرها بعد ازدياد الطلب عليه وانتهى به الأمر مع ابنه إلى مدينة طرابلس وكان في صحبته أبو العباس أخو أبي عبد الله الشيعي، الذي وجهه المهدي إلى القيروان ربما للاستطلاع ورصد الأخبار فعلم أن خبر عبيد الله قد وصل إلى زيادة الله بن الأغلب وتم القبض عليه وألقي به في السجن، ولما علم المهدي بذلك توجه نحو قسنطينة[6].

---

[1] تقي الدين المقريزي: **المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار**، مكتبة المثنى، بغداد، 1970، ص350

[2] **تاهرت**: اسم لمدينتين متقابلتين بأقصى المغرب بينهما وبين المسيلة ست مراحل وهي بين تلمسان وقلعة بني حماد كثيرة الأنداء والضباب والامطار وقل ما تظهر فيها الشمس، ياقوت الحموي: المصدر السابق، ج2، ص7

[3] سرور، المرجع السابق، ص24

[4] **سلمية**: بلدة في ناحية البرية من أعمال حماه بالشام بينهما مسافة يومين وتعد من أعمال حمص وقد اتخذها أئمة الإسماعيلية مركزا لنشر دعوتهم إلى كافة الأقطار الإسلامية، ياقوت الحموي: المصدر السابق، ج 3، ص240

[5] **الدولة العباسية**: تأسست سنة 132هـ/749م وكانت عاصمتهم بغداد، ينتسبون إلى العباس عم الرسول صلى الله عليه وسلم، أول خلفائهم أبو العباس السفّاح، سقطت دولتهم على يد المغول التتار سنة 656هـ/1258م، مصطفى شاكر، المرجع السابق، ص127

[6] المقريزي: الاتعاظ، ج1، ص61-62

وصل عبيد الله إلى قسنطينة ولم يقصد أبا عبد الله الشيعي وتوجه إلى سجلماسة[1] التي وصل اليها بالرغم من كثرة الرسل التي بُعثت في طلبه وتعدد المراصد بالطرقات، وكان على سجلماسة اليسع بن مدرار[2] الذي قربه اليه في بادئ الأمر ثم قام بحبسه مباشرة بعد وصول كتاب زيادة الله الذي يعرفه فيه بالرجل[3].

خرج أبو عبد الله الشيعي للإفراج عن الامام المهدي في شهر رمضان سنة 296هـ إلى سجلماسة واستخلف اخاه وأحد رجاله على افريقية خلال فترة غيابه التي ستستغرق أربعين يوما، وكام معه وجوه أهله ورجال دعوتها فحلوا بتاهرت التي دخلوها بأمان وقتل بها من الرستميين يقظان بن أبي يقضان وأهل بيته فكان ذلك إيذانا بنهاية الدولة الرستمية بعد 130 سنة من الحكم[4]، ولما قرُب منها أرسل رسلا من الخدم إلى اليسع يؤمنه على جنبه ويفسر له سبب قدومه اليه، لكن اليسع رفض الإذعان وأمر بقتل الرسل وتكرر الأمر مع أبي عبد الله للمرة الثالثة حيث اتخذ سياسة المهادنة هذه خوفا على المهدي ودرئا لأي مكروه قد يصيبه، وامام إصرار ابي عبد الله وتعنت اليسع دنت العساكر من المدينة واقتحمت اليسع ومن معه بعد الخروج اليهم وقتلوا منهم جمع كثير وكان ذلك على مقربة من المساء، ولما جنا الليل هرب ابن مدرار ومن معه دون علم ابي عبد الله الشيعي والذي مرت عليه ليلة عصيبة لأنه لم يكن يدري ما حل بالمهدي إلى غاية طلوع الصباح حتى خرج جماعة من أهل المدينة وأخبروهم بهروب اليسع وبمكان تواجد المهدي وابنه[5]، فدخل مع أصحابه

---

[1] **سجلماسة**: مدينة في جنوبي المغرب، في طرف بلاد السودان بينها وبين فاس عشرة أيام تلقاء الجنوب، وهي في منقطع جبل درن في وسط رمال كرمال زرود ويتصل بها من شماليها جدد من الأرض ويمر بها نهر غرسوا عليه بساتين ونخلا مد البصر، ياقوت الحموي: المصدر السابق، ج2، ص192

[2] **اليسع بن مدرار**: تولى الحكم في سجلماسة سنة 370هـ/980م، وتلقب بالمنتصر، زحف اليه أبو عبد الله الشيعي ففر أمامه، ثم ظفر به وقتله سنة 296هـ/908م مما أدى إلى انقراض دولة بني مدرار، ابن عُذرى المراكشي: **البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب**، تح ج.س كولان ول. بروفنسال، دار الثقافة، ط3، بيروت، 1983، ج1، ص157

[3] المقريزي، الاتعاظ، ج1، ص61-62

[4] ابن عُذرى: المصدر السابق، ج1، ص153

[5] القاضي النعمان: الافتتاح، ص277-278-279

البلد وأدركوا مكان تواجد المهدي وابنه وأخرجوهما في يوم الأحد لسبع خلون من ذي الحجة سنة 296 هـ[1] وكان ذلك في جو بهيج حيث خصص له فرسان فركباهما وكانا محفوفين بالاتباع والدعاة وأبو عبد الله الشيعي يمشي بين يدي الامام وهو يقول: "هذا مولاي ومولاكم أيها المؤمنون"[2]، وهو يبكي من شدة الفرح، وأثناء العودة بعث أبو عبد الله الشيعي فرسانه للقبض على اليسع فتم لهم ذلك وضُرب بالسياط وقُتل[3].

3-اعلان قيام الخلافة الفاطمية

مكث المهدي في سجلماسة مدة أربعين يوما، ثم غادرها مع عساكره في اتجاه افريقية، حيث تختلف المصادر في تحديد خط السير الذي انتهجه المهدي، فبينما يقر القاضي النعمان في كتابه افتتاح الدعوة بأنه اتجه صوب بلاد كتامة حتى وصل ايكجان وطلب الأموال من الدعاة والمشايخ الذين كانوا قد دفنوها هناك، وحملها وسار حتى وصل رقادة[4]، فان ادريس عماد الدين اخبرنا في كتابه تاريخ الخلفاء الفاطميين بالمغرب، بأن المهدي قد توقف في تاهرت قبل دخوله أرض كتامة، ثم نزل في تأمقلت[5] التي قام بفتحها ثم وصل بلاد كتامة التي مال اليها وأدرك ايكجان، وأمر بإحضار الأموال التي كانت بحوزة الدعاة والمشايخ[6].

وصل المهدي إلى رقادة في يوم الخميس لعشرين من شهر ربيع الآخر سنة 297هـ[7]، وقبل وصوله خرج اليه أهل القيروان في موكب عظيم لاستقباله ولازموه حتى دخلها، وفي يوم الغد كتب الامام المهدي كتابين تضمن الأول دعاء له أمر بترديده من على المنابر بعد الصلاة على النبي وعلى جميع آل البيت الأطهار، وكان الكتاب الثاني بمثابة اعلان سياسي ديني جاء فيه بأنه (عبد الله أبي

---

[1] الخربوطلي، المرجع السابق، ص55

[2] القاضي النعمان، الافتتاح، ص279

[3] المقريزي: الاتعاظ، ج1، ص65

[4] القاضي النعمان: الافتتاح، ص288-289

[5] **تأمقلت**: هي مدينة قديمة قرب تاهرت، غزوان مصطفى ياغي: **الدولة الفاطمية الدعوة والتأسيس**، د.د.ط، القاهرة، 1998، ص87

[6] ادريس عماد الدين: **تاريخ الخلفاء الفاطميين بالمغرب (القسم الخاص من كتاب عيون الأخبار)**، تح محمد اليعلاوي، دار الغرب الإسلامي، ط1، بيروت، 1985، ص166-167

[7] القاضي النعمان: الافتتاح، ص290

محمد الامام المهدي بالله أمير المؤمنين)، ودعا الناس لطاعته والعمل على نصرته ووعد الناس بالخير والفلاح في دينهم ودنياهم[1].

تمت قراءة السجل وهو بمثابة اعلان قيام الخلافة الفاطمية وعلى رأسها أمير المؤمنين المهدي، وذلك يوم الجمعة لتسع ليال بقين من شهر ربيع الآخر سنة 297هـ في رقادة والقيروان والقصر القديم[2] معا، وجميع البلدان، فعمت البهجة جميع السكان وظنوا بذلك خيرا وراحوا يكثرون من الدعاء للمهدي، الذي ضُربت السكة باسمه وقصده الناس من كل حدب وصوب لمبايعته، فواصل الجلوس مع الناس ورُفعت شكاياهم اليه، فأزال المظالم بينهم وأمر بإقامة الحدود[3]، فيذكر المقريزي أنه جلس رجل يُعرف بالشريف وكان معه الدعاة ويومها يوم جمعة فاستدعوا الناس لمذهبهم وتم قتل كل من لم يوافق على ذلك، وعُرض على المهدي جواري زيادة الله الثالث فاختار بعض منها له ولولده، وقسم ما بقي على أعيان كتامة، وأسند لهم مهام أعمال افريقية، ودون الدواوين وجبا الأموال فاستقرت له البلاد ودان له أهلها بالولاء والطاعة[4].

وهكذا ما ان انتهى القرن الثالث الهجري حتى تمكن الفاطميون الشيعة بفضل سعيهم ونشاطهم المكثف الذي استمر أكثر من مائة وخمسون سنة من اعلان قيام الخلافة الفاطمية سنة 297هـ/908م (الملحق رقم 01)، وأصبح العالم الإسلامي بعد ذلك مقسم بين ثلاثة خلافات، خلافتان سنيتان وهما الخلافة العباسية ببغداد والخلافة الأموية بقرطبة والأولى التي سبق ذكرها لكنها خلافة شيعية اسماعيلية بافريقية، وعلى الجانب الآخر كانت الدولة البيزنطية في القسطنطينية التي كانت تتابع الأمور عن كثب حول ما يجري في العالم الإسلامي وتتحين الفرص للاستفادة من هذا الانقسام[5]. ويرى عبد الرحمان بن محمد الجيلالي ان الصّفات التي تميز بها المهدي من يقظة وأصالة الرأي واعلم التي زادت في حيلته ورباطة جأشه بالإضافة إلى الوسائل الدبلوماسية التي اعتمدها في دعوته والتي لم يسبق لها مثيل، كل ذلك ساعد على إقامة دولته[6].

---

[1] ياغي: المرجع السابق، ص88-89

[2] **القصر القديم**: هي مدينة تقع على بعد أربعة أميال جنوب القيروان، أسسها إبراهيم بن الأغلب سنة 184هـ/800م، وجعلها دار امارة له، ياغي، المرجع السابق، ص89

[3] نفسه، ص89

[4] المقريزي: الاتعاظ، ج1، ص66

[5] أيمن فؤاد سيد: **الدولة الفاطمية في مصر**، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 2007، ص121

[6] عبد الرحمان بن محمد الجيلالي: **تاريخ الجزائر العام**، منشورات دار مكتبة الحياة، ط2، الجزائر، 1965، ج1، ص283

ثانيا: نظام حكمها

1-نظام الحكم: فلسفة الحكم عند الفاطميين ترتكز على أسس قوية ومتينة مستمدة من المذهب الشيعي الإسماعيلي، ولهذا نجدهم دائما يؤثرون لفظ (الامامة) على (الخلافة) على اعتبار ان الامام الأول عندهم هو علي بن أبي طالب تشبيها له بإمام الصلاة في وجوب انقياد الناس له والاقتداء به، لذلك تعتبر الامامة النظام الرئيسي بين نظم الحكم في الدولة الإسلامية الشيعية[1]، فالإمام عندهم ليس شخصا عاديا بل هو فوق الجميع ويعتبر المشرع والمنفذ، ولا يُسأل عن أفعاله لأنه معصوم من الخطأ نتيجة لما ورثه من علوم لدُنية عن النبي، وهناك نوعان من العلوم عندهم وهما علم الظاهر والباطن اللذان علمهما النبي لعلي بن أبي طالب فأطلعه على خفايا السكون والسر المكنون من هذه العلوم وكل امام ورث ذلك لمن اتى بعده، ومن هذه الرؤية نستطيع أن نفهم سر تقديس الناس للإمام والركوع عند مروره وتقبيل الأرض بين يديه[2].

وأعلى رتبة عندهم هي وظيفة داعي الدعاة، التي لا تضاهيها رتبة أخرى الا رتبة قاضي القضاة أو الخليفة نفسه الذين يؤمنون بعصمته كما أوضحنا، ولم يكن للدولة الفاطمية أثناء تواجدها بالمغرب وزراء الا بعد رحيلها إلى مصر في عهد الخليفة العزيز بالله[3].

2-الجيش الفاطمي: غالبية جنود الفاطميين من قبيلة كتامة المعروفة برباطة الجأش، اذ يفضلون الموت على الانهزام وبأنهم يقاتلون على الخيل والنجب أي الجمال السريعة، ومعظم قتالهم صفوفا، فأصحاب الصف الأول بأيديهم القني الطوال للمداعسة والطعان، وأصحاب الصف الثاني بأيديهم المزاريق يتقدمهم رجل يحمل الراية، وتتمثل عدة الجيش الفاطمي فيما يلي[4]:

---

[1] جمال الدين الشيّال: **مجموعة الوثائق الفاطمية (وثائق الخلافة وولاية العهد والوزارة)**، مكتبة الثقافة الدينية، مصر، 2000م، ص22

[2] أحمد مختار العبادي: **دراسات في تاريخ المغرب والأندلس**، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، د.س.ط، ص53

[3] الجيلالي: المرجع السابق، ص283

[4] بوبة مجاني: **من قضايا التاريخ الفاطمي في دوره المغربي**، دار بهاء الدين للنشر والتوزيع بقسنطينة، ط1، الجزائر، 2007م، ص173

أ-الرايات والبنود: البند هو العلم الكبير أو اللواء وهو غير الراية، فاللواء هو الذي يُربط في طرف الرمح ويلوى عليه، أما الراية فهي ما يُربط فيه ويترك حتى تصفقه الرياح، فاللواء دون الراية هو إشارة لمحل الأمي يلازمه أينما حل، أما الرايات فهي شعار الحروب من عهد الخليقة[1].

ب-الإبل والخيول: مجد الإسلام الخيل، وهي الوسيلة التي يُعتمد عليها في الكر والفر في الحرب، وبما أن العرب يمتلكون أجودها فانهم اعتبروها أهم عددهم في الحرب، وكانوا إذا ساروا في اتجاه الحرب ركبوا الإبل وقادوا الخيول ليريحوها وإذا اقتربوا من عدوهم وأرادوا الغارة نزلوا الإبل وركبوا خيولهم، وكان أبو عبد الله الشيعي إذا أراد الحرب نادى مناديه: "يا خيل الله اركبوا"[2].

جـ-البريد والمواصلات: كانت أغلب طرق المغرب خلال القرن الثالث الهجري تتجه نحو القيروان، حيث كانوا يعتمدون في تواصلهم في الحروب على البرد الحربية التي تعتبر مثابة المخابرات كما هو الحال اليوم، وللتواصل بين وحدات الأسطول البحري بعضها ببعض أو بينها وبين مراكز القيادة في الداخل كان يُعتمد على الحمام الزاجل إلى غاية مغادرتهم بلاد المغرب في اتجاه مصر سنة 362هـ، كما استخدموا النار كوسيلة من وسائل الإشارة خاصة على الساحل الافريقي الشمالي[3].

3-القضاء: يبدو أن القضاء في الدولة الفاطمية لقي مكانة مرموقة باعتباره أحد الركائز الأساسية لنظام الحكم، ويظهر ذلك من خلال عدم التدخل في شؤون القضاة في اختيار المحتسب على سبيل المثال لا الحصر، فجاء في كتاب تاريخ الجزائر العام لعبد الرحمان الجيلالي قوله: "ووظيفة الحسبة مندرجة تحت رعاية القاضي فهو الذي يولي عليها من يشاء"[4]، وكان يغلب على القضاة المذهب الإسماعيلي أما إذا تولى القضاء أحد على غير هذا المذهب فيشترط فيه أن يحكم بالمذهب الإسماعيلي دون غيره، فكانوا ينظرون في شؤون موظفي المساجد ويشرفون على دور الضرب وغيرها من الاختصاصات بالإضافة إلى انهم كانوا يتقاضون راتبا كبيرا حتى لا تتفشى فيهم الرشوة وتكون أحكامهم نزيهة[5].

---

[1] بوبة مجاني: المرجع السابق، ص174

[2] نفسه، ص174

[3] نفسه، ص175-176

[4] الجيلالي: المرجع السابق، ص284

[5] محمد بركات البيلي: **صفحات من تاريخ الدولة الفاطمية**، كلية الآداب بجامعة القاهرة، مصر، 2007م، ص171-172

المبحث الثاني: مراحل حكم الدولة الفاطمية في بلاد المغرب الاسلامي (297هـ-362هـ/910-973م)

أولا-مرحلة حكم عُبيد الله المهدي (297-322هـ/910-934م)

1-تنظيم الدولة وسياسته الداخلية: ما ان اعتلى عبيد الله المهدي عرش الخلافة حتى شرع في القيام بالمهام التي كانت تنتظره لدفع عجلة هذه الدولة الفتية، فقسّم على رجال كتامة أعمال افريقية التي جزئها إلى نواحي يشرف عليها العسكر، وعمل على إعادة تنظيم المصالح الإدارية فأحيا ديوان الخراج الذي أُحرق على إثر هروب زيادة الله، وأمر بجبي الأموال ولم يكتف برجال كتامة حيث استعان حتى بالعناصر العربية التي كانت في خدمة النظام السابق، وهو موقف تسامحي يهدف بالدرجة الأولى إلى الحفاظ على نجاعة واستقرار الإدارة الفاطمية الجديدة[1]، وبمرور الوقت ومن أجل فرض سلطته الكاملة قام بإقصاء الداعي ابي عبد الله وأخيه أبي العباس ومشائخ من كتامة بعد ان تفطن لمحاولة انقلابهم عليه بعدما رأوا منه ما لا يرضيهم خاصة في قضية الاستيلاء على الأموال التي كانت لهم بايكجان، بالإضافة إلى عدم اشراكم في الحكم والسلطة، فتم له ذلك بقتل أبي عبد الله الشيعي وأخيه ابي العباس في يوم الاثنين 15 جمادى الثانية سنة 298هـ[2].

انتقل عُبيد الله من رقادة إلى المهدية بعد أن بناها ونسبها لاسمه والتي اختطها بطالع الأسد لأنه برج ثابت، وكان ذو بصيرة بعلم النجوم، وبنى بها قصره وهو موجود إلى اليوم، وقصر لابنه أبي القاسم، وجعل بها دار الصناعة، وأمر بهدم كل قصور بني الأغلب في افريقية لطمس معالمها ومحو آثارها، وبهكذا اعمال صفا له الملك واستقر له الحال بالرغم من الانتفاضات والاضطرابات التي تعرضت لها الدولة آنذاك خاصة بعد مقتل أبي عبد الله الشيعي، مثل انتفاضة الأغالبة بالقصر القديم الذين تلقوا خبر مقتل أبي عبد الله بفزع خاصة وأنه الرجل الذي أمنهم على أرواحهم وممتلكاتهم من قبل فأحسوا بالخوف من بعده ووجدوا انفسهم في مواجهة عدوهم الشيعي عبيد الله المهدي، فاستغلوا وقوع خصومة في سوق القصر القديم بين أحد السكان والكتاميين فقاموا بتعبئة الخيل والرجال وأخرجوا ما عندهم من سلاح وتمكنوا من قتل جماعة من كتامة، لكن المهدي أمر بالقبض على بعض

---

[1] فرحات الدشراوي: **الخلافة الفاطمية بالمغرب**، تعريب حمادي الساحلي، دار الغرب الإسلامي، ط1، لبنان، 1994م، ص184.

[2] نفسه، ص190

وجهائهم وكان مصيرهم القتل والسجن[1]، بالإضافة إلى ذلك هناك ثورة أهل القيروان على كتامة وهو ما يشير إلى هشاشة علاقة حسن الجوار التي بناها أبو عبد الله الشيعي من قبل بين الكتاميين وأهل افريقية، وكانت هذه الأحداث في يوم الثلاثاء 22 شعبان 299هـ حيث قام أهل القيروان على من كان بداخلها من الكتاميين وقتلوا منهم في ساعة واحدة ما يقارب سبعمائة رجل، ورغم اعتذار القيروانيين الا ان انهم دفعوا الثمن غاليا في أرواحهم وأموالهم[2]، واقدام المهدي على هذه الأعمال تدل على حرصه الشديد على احكام قبضته وحماية دولته من كل ما يعكر صفوها، وبهكذا سياسات ملك كل افريقية، والمغرب، وطرابلس، وجربة، وصقلية، وأرسل ابنه أبو القاسم إلى مصر في دفعتين الأولى كانت سنة 301هـ فملك الإسكندرية والفيوم وجبى خراجهما، والثانية سنة 306هـ[3].

2-سياسته الخارجية: كانت في معظمها سياسة توسعية، فلما تقلد المهدي الحكم برقادة، لم يكتف بالمجال الجغرافي الذي استولى عليه من الأغالبة بل اتجهت اطماعه من الناحية الغربية حتى وصل تاهرت، وبسط يده على قسم كبير من المغرب الأقصى يصل إلى غاية سجلماسة بعد ما انتهت بها دولة بني مدرار، حتى أصبح المغرب بأسره ملكا له[4]، وأصبحت الدولة الفاطمية تمثل خطرين جسيمين، الأول داخل الغرب الإسلامي ذاته بالنسبة للأمويين في الأندلس، وثانيهما في المشرق بالنسبة للعباسيين، خاصة وأن المهدي لم يكتف بالمناطق التي استولى عليها الداعي باسمه، واخماد الثورات التي كانت هنا وهناك بل سعى إلى تحقيق مطامعه التوسعية[5].

فيقول المؤرخون أن كل المؤشرات تدعو إلى الاعتقاد بأن المهدي كان ينوي غزو الأندلس لذلك كلف داعيته قبل التخلص منه بالذهاب إلى ما وراء تاهرت وتنس على رأس قوة كتامية عظيمة ليس من أجل اخضاع القبائل المتمردة فقط بل ولبعث الرعب في انحاء المغرب الأقصى وعلى حدود الأندلس نفسها، ولولا بعض العراقيل التي طفت على الساحة آنذاك وأهمها اكتشاف مؤامرة الداعي التي حاول فيها التخلص منه بتدبير أخيه أبي العباس لأقدم على فعلته[6].

---

[1] الدشراوي: المرجع السابق، ص191-192

[2] القاضي النعمان: الافتتاح، ص322-323

[3] ابن حماد: المصدر السابق، ص41-44

[4] الدشراوي: المرجع السابق، ص202

[5] نفسه، ص205

[6] الدشراوي: المرجع السابق، ص207

ثانيا–مرحلة حكم القائم بأمر الله (322–334هـ/934–945م)

1–سياسته الداخلية: تميزت سياسة القائم بأمر الله[1] بالشدّة والصلابة، فتعرض أهل افريقية للإفراط في الجباية والاضطهاد الديني، وقام عامل القائم بأمر الله على صقلية خليل بن إسحاق بالتعسف طيلة أربعة سنوات من 325هـ إلى 329هـ إلى درجة أنه أجبر العناصر العربية المقيمة بصقلية إلى ترك أراضيها والهروب إلى بلاد النصارى واعتناق البعض منهم للديانة المسيحية[2]، وسعى القائم منذ بداية حكمه إلى تعزيز قوته العسكرية، وأسدى التعليمات إلى عمال الأقاليم لصناعة الأسلحة وجميع أنواع العتاد وثبّت عونه المخلص أبا جعفر البغدادي على رأس عدة دواوين مثل البريد وديوان الانشاء من أجل مراقبة مختلف المصالح[3].

وتميزت هذه الفترة كذلك بنهوض العناصر المناوئة للدولة الفاطمية مستغلين فرصة وفاة الخليفة الفاطمي الأول، فثار الخوارج بقيادة رجل يُعرف بكُنية أبي يزيد الذي جهر بالدعوة ضد النظام الشيعي ودعا الناس إلى الجهاد، فأمر الخليفة القائم باعتقاله، لكنه فرّ بمساعدة صاحبه أي عمار الذي جمع أربعين رجلا وقصد باب السجن فكسّره، وعمل فيما بعد على حشد اتباعه والثورة من جديد[4]، والتي استمرت إلى ان توفي القائم في شوال سنة 334هـ تاركا الأمر لابنه إسماعيل الذي تمكن من اخماد الثورة على الفور[5].

2–سياسته الخارجية: تمثلت في توجيه حملات خارجية منها الحملة على النصارى الذين توجه إليهم الأسطول الفاطمي في عشرين مركبا يوم السبت 7 رجب سنة 322هـ في اتجاه الشمال الغربي، وفي طريقهم أوقف قائد الأسطول يعقوب بن إسحاق مراكب لتجار نصارى قادمين من الأندلس وأسر وأستولى على كل ما فيها، ونزل جنوة التي دخلها بعد حصار طويل وقتل كل محاربيها وسبى النساء

---

[1] **القائم بأمر الله:** كنيته أبو القاسم بن عبد الله، ولد بسلمية من بلاد الشام سنة 308هـ وبويع يوم مات أبوه عُبيد الله وعمره آنذاك 42 سنة، عرف عهده ثورة أبي يزيد الخارجي سنة 332هـ، توفي في 13 شوال سنة 334هـ فكانت خلافته مدة 12 سنة، ابن حماد: المصدر السابق، ص53 وما بعدها

[2] ابن عُذارى: المصدر السابق، ج1، ص215

[3] الدشراوي: المرجع السابق، ص245

[4] ادريس عماد الدين: المصدر السابق، ص265

[5] القاضي النعمان: الافتتاح، ص334

والأطفال وفي طريق عودتهم خاضوا عدة معارك بحرية مع النصارى انتهت بانتصارهم وعودتهم سالمين غانمين[1].

كما تم توجيه حملة أخرى للمغرب الأقصى لاسترجاع سلطة الفاطميين عليها بعد ان تراجع نفوذهم هناك على إثر ارتداد موسى بن أبي العافية الذي كان قد أنظم للفاطميين من قبل، وفي عهد القائم بأمر الله تم توجيه الحملة الثالثة إلى مصر أيضا بعد الحملتين السابقتين في عهد عُبيد الله المهدي[2].

ثالثا–مرحلة حكم إسماعيل المنصور (334–341هـ/945–952م)

1–سياسته الداخلية: بدأت ولاية أبي الطاهر إسماعيل المنصور[3] في 7 رمضان سنة 334هـ، وكان عمره آنذاك 33سنة[4]، وهو نفس اليوم الذي عُين فيه وليا للعهد من قبل أبيه القائم الذي أحس بدنو أجله، فواصل سياسة أبيه فلم يغير السكة ولا البنود وبقي على ذلك إلى سنة 336هـ[5]، وشرع المنصور بكل حزم وإرداة في تسيير مهامه على رأس الدولة الفاطمية، وذلك قبل وفاة أبيه بحوالي خمسة أسابيع، فوجّه المراكب المحملة بالطعام للفقراء والمحتاجين المتضررين من الحصار الذي فرضه خصمهم أبو يزيد، وشحن المراكب أيضا بالعدة والسلاح إلى سوسة قبل وفاة أبيه بيومين، الذي تعمّد كتم خبر وفاته فيما بعد، خشية الاضطرابات والانزلاقات، وحتى لا يستفيد أبو يزيد من ذلك[6].

وشرع خليفة القائم بحشد رجاله، والمشاركة في الحرب بنفسه، فأبدى شجاعة وبسالة لا مثيل لها، ولاحق خصمه في كل الأرجاء، ولم تمض سوى خمسة عشر شهرا حتى ظفر به، وتمكن من هزيمته واخماد ثورته عندما أُلقي عليه القبض حيا وجيء به في قفص إلى المنصور، الذي أمر بسلخه وحشي

---

[1] القاضي النعمان: الافتتاح، ص331

[2] الدشراوي: المرجع السابق، ص243-244

[3] إسماعيل **المنصور**: هو أبو العباس إسماعيل بن أبي القاسم، ولد بالمهدية سنة 299هـ وقيل سنة 302هـ وولى وله من العمر 32 سنة، كان بطلا شجاعا وفصيحا حتى أنه قضى على ثورة أبي يزيد، توفي سنة 341هـ وقيل سنة 339هـ فكانت ولايته سبع سنين، ابن حماد: المصدر السابق، ص59 وما بعدها

[4] ادريس عماد الدين: المصدر السابق، ص338

[5] المقريزي: الاتعاظ، ج1، ص89

[6] الدشراوي: المرجع السابق، ص277-278

جلده قطنا، وكان ذلك في محرم من سنة 336هـ[1]، وتحول بعدها إلى النواحي الغربية من مملكته لإعادة الهدوء والاستقرار في كل انحائها، من بلد صنهاجة إلى تاهرت، ومن الاوراس إلى تخوم الزاب الصحراوية، وأقام عاصمته الجديدة صبرة، في أوساط البادية في موقع المعركة بالذات، بالقرب من القيروان تخليدا لبطولته وانتصاره على أبي يزيد، وقد أطلق عليها اسم المنصورية[2] نسبة لاسمه، وأصبحت دار مُلكهم ومُلك من بعدهم إلى ان أتى عليها الزمان[3]، ومن كثرة انشغاله بمهام دولته أهمل شؤون أسرته وأبنائه حسب اعتراف الخليفة شخصيا[4].

قام بعد انتصاره على أبي يزيد بسلسلة من الاجراءات التي لاقت استحسان السكان منها توزيع الأموال على الفقراء والمساكين واسقاط الجباية بالنسبة لسنة 335هـ حيث أعفى الجميع (مسلمون وأهل الذمة) من جميع الضرائب الشرعية والخاصة وتعهدت الدولة بأن لا يأخذ منهم في السنوات القادمة الا العشر والصدقة وفقا لأحكام الشرع والسنة النبوية مما أدى إلى انتعاش الأنشطة الزراعية والتجارية[5].

2-سياسته الخارجية: استأنف المنصور قبل وفاته سياسة المهدي التوسعية، وطبقها بحزم وثبات حتى اندلاع الثورة، وذلك ضد منافسيه في العالم الإسلامي الخليفة العباسي والأمير الأموي من جهة، وضد بيزنطة المسيحية من جهة أخرى، وقد أوكل الخليفة هذه المهمة لابنه وخليفته المعز لدين الله في الحوضين الشرقي والغربي للبحر الأبيض المتوسط وتحديدا في مصر وصقلية وقلورية، أو في المغرب الأقصى[6].

تعرضت الدولة الفاطمية في عهد المنصور إلى مضايقات من طرف الخليفة الأندلسي الناصر، الذي سعى إلى تطبيق سياسته التوسعية هو الآخر، والتدخل في شؤون افريقية الداخلية، من خلال تقديم يد المساعدة لأبي يزيد ومنحه الرعاية المعنوية، الا ان المنصور جابهها بكل حزم وأحبط جميع

---

[1] ابن عُذارى: المصدر السابق، ج1، ص220

[2] **المنصورية:** هي مدينة متصلة بالقيروان بناها إسماعيل المنصور ابن عبيد الله سنة 337هـ واستوطنها، هجرها الناس فأصبحت خرابا، ياقوت الحموي: المصدر السابق، ج3، ص391-392

[3] ابن حماد: المصدر السابق، ص61

[4] الدشراوي: المرجع السابق، ص278

[5] نفسه، ص288-289

[6] الدشراوي: المرجع السابق، ص314

التدخلات العسكرية[1]، ولم يُهمل المنصور كذلك أمر انتشار الدعوة في المشرق بالرغم مما كان يعانيه من أزمات، وفي الوقت الذي أرغم فيه المتمردين على التراجع استقبل مبعوثا من بغداد لإخباره بأنشطة عونين إسماعيليين مما يدل على أن الخليفة كان يتابع كل ما يحدث في ممتلكات خصمه العباسي[2].

أما صقلية التي شهدت حالة من الفوضى بعد تولي المنصور الخلافة مباشرة، حيث رفض النصارى دفع الجزية، وشقت أكبر العائلات العربية لعصا الطاعة على عامل صقلية هناك، لدرجة أنهم هاجموه وقتلوا عددا من جنوده، فما كان من المنصور الا الرد السريع والحازم، حيث عوض عامله القديم بقائد جديد أبلى البلاء الحسن، وتمكن من فرض النظام والانضباط رغم التقارب البيزنطي الأندلسي وتوحيد جهودهما ضد عدوهما المشترك الخليفة الفاطمي، ووصل الأمر إلى حد اشتباك الجيشين الفاطمي والبيزنطي يوم عيد الأضحى 10 ذو الحجة 340هـ وانهزم جيش الروم شر هزيمة، واضطر قيصرهم قسطنطين السابع لإبرام الصلح وتقديم الهدايا الثمينة للخليفة الفاطمي[3].

رابعا–مرحلة حكم المعز لدين الله (341–362هـ/952–973م)

1–سياسته الداخلية: استطاع الخليفة الرابع العز لدين الله الفاطمي[4]، أن يجعل نفوذ دولته تمتد على معظم الشمال شرقا وغربا، وتمكن من تعيين عماله في مختلف الأرجاء على غرار باسيل الصقلي الذي عينه عاملا على سرت، وفي أيامه دخل اليهود إلى افريقية وامتدت حدود مملكته إلى مصر مما مكّنه من متابعة أحوال حكامها وأمرائها، وأصبحت تسوّل له نفسه للاستيلاء عليها[5].

---

[1] الدشراوي، المرجع السابق ، ص318

[2] نفسه، ص317

[3] ادريس عماد الدين، المصدر السابق، ص498

[4] **المعز لدين الله الفاطمي**: هو معد بن تميم ولد بالمهدية يوم الاثنين في رمضان سنة 319هـ، وولى وله 22 سنة، تمكن من فتح مصر عن طريق القائد جوهر مولى أبيه إسماعيل المنصور، وكان ذلك في شعبان سنة 358هـ، ثم انتقل المعزّ إلى الإسكندرية سنة 362هـ واستقر بقصره في القاهرة يوم 7رمضان سنة 363هـ، توفي بالقاهرة يوم الجمعة 11 ربيع الآخر سنة 365هـ، ابن حماد: المصدر السابق، ص83 وما بعدها

[5] علي محمد الصلابي: **الدولة الفاطمية**، مؤسسة اقرأ للنشر والتوزيع والترجمة، ط1، القاهرة، 2006م، ص68

وفي سنة 342هـ جالت عساكر المعز في جبل أوراس الذي كان يُعتبر ملجأ المعارضين الذين أدخلهم في طاعة الخليفة الجديد وهم من الهواريين الذين كانوا من أشد الداعمين لأبي يزيد[1]، وأسدى تعليماته إلى نوابه بالإحسان للبربر فعظُم أمره وأقبل الناس على طاعته، وبرزت خلال هذه الفترة شخصية هامة لعبت دورا بارزا في الجانب العسكري، وهو جوهر الصقلّي[2] الذي صار في رتبة الوزارة وأرسله المعز على رأس جيش كثيف سار به إلى تاهرت وفاس وغيرها وتمكن من إعادة استقرار الأوضاع بها[3].

كانت حملة أوراس المرحلة التمهيدية لتوجيه حملات عسكرية أخرى واسعة النطاق على نواحي المغرب الأقصى، وبفضلها تمكن من تعزيز سلطته في الأقاليم الغربية في الزاب وتاهرت والمناطق الواقعة تحت تأثير النفوذ الأموي بالأندلس، ولإحكام السيطرة على المغرب الأوسط وفرض احترام قبيلة زناتة فقد وطد المعز علاقاته مع الصنهاجيين في ناحية تيطري حيث استقبل زعيمهم زيري بن مناد بكل حفاوة في المنصورية وأغدق عليه بالنعم مكلفا إياه بمهمة ممارسة السلطة باسمه على المناطق الممتدة من تخوم الزاب إلى حدود تاهرت[4].

2-سياسته الخارجية: وجه المعز تعليماته إلى عامله بصقلية الحسن بن علي بن الكلبي ليضع الأسطول في حالة تأهب استعدادا للحرب في الحوض الغربي من البحر الأبيض المتوسط ضد خصمه الاندلسي الناصر الذي أقدم على سياسته التوسعية في عهد المنصور والد المعز، والتي أسفرت على الاستيلاء على طنجة سنة 339هـ/951م، فاستغل المعز قضية هجوم مركب أموي قادم من المشرق على قارب كان على متنه كتاب من عامل صقلية موجه إلى المعز[5]، فأعطى الخليفة الفاطمي الاذن لعامله بصقلية للقيام بحملة بحرية قوية في اتجاه الأندلس لطلب المركب الذي هاجم قاربهم حتى وان

---

[1] الدشراوي: المرجع السابق، ص332

[2] **جوهر الصقلي:** هو القائد أبو الحسن جوهر بن عبد الله المعروف بالكاتب، الرومي، كان من موالي المعز بن المنصور والذي جهّزه إلى الديار المصرية بعد موت كافور الاخشيدي، استقر بمصر وشرع في بناء القاهرة وغزا دمشق فملكها، عزله المعز عن دواوين مصر وجباية أموالها والنظر في أحوالها سنة364هـ وتوفي سنة 381هـ، ابن خلكان: المصدر السابق، ج1، ص375-376

[3] المقريزي: الاتعاظ، ج1، ص93-94

[4] الدشراوي: المرجع السابق، ص334

[5] القاضي النعمان: **المجالس والمسايرات**، تح الحبيب الفقي وآخرون، دار المنتظر، ط1، بيروت، 1996م، ص164

وصل الاندلس، ولما سبقهم المركب الذي أرسى بألمرية[1] وهي مركز تجمع أساطيل الاندلس وبها دار صناعة المراكب، تمكن الأسطول الفاطمي من الاستيلاء على هذه المدينة وأضرموا النيران في أساطيل الأمويين بها وانتهبوا جميع ذخائرها، ونالوا من المركب الذي فعل فعلته بهم ورجعوا سالمين غانمين[2]، وفي العام المقبل اتفق الناصر مع الروم ووجهوا اسطولا مشتركا للانتقام من الخليفة الفاطمي الذي أمر من المهدية بانطلاق اسطوله والذي واجه الروم دون صقلية فولوا هاربين حتى بعد اقبال الاسطول الأموي الذي انتهى به الأمر إلى بعض مراسي المغرب وحل بهم القتل والاستيلاء على أسلحتهم ومعداتهم[3]، وتم عقد الهدنة مع الروم سنة 346هـ/957م لمدة خمس سنوات[4].

3-سياسة المعز الشرقية: اهتم الخليفة المعز في بادئ أمره بالمغربين الأوسط والأقصى والاندلس، ولم يلتفت إلى المشرق ومصر الا في السنوات الأخيرة من حكمه لإفريقية، وذلك بعد أن بلغ ذروة قوته فهو صاحب المغرب قاطبة وصقلية وأصبح نفوذه يضاهي نفوذ خليفة الأندلس وقيصر الروم، وأمام ضعف الدولة العباسية التي أصبحت عاجزة حتى عن حماية نفسها، وأمام تردي الأوضاع بمصر خاصة بعد وفاة كافور الإخشيدي[5] سنة 357هـ/968م أصبحت هذه الأخيرة ثمرة يانعة سيتولّى المعز قطفها بكل سهولة[6].

حرص المعزّ مُنذ مدة على تواصله مع كبار القوم الاخشيديين ولعب دعاته الدور البارز في مصر مما أدى بالإخشيدي إلى الخروج عن طاعة العباسيين والدخول في طاعة المعز، وبالرغم من الحاح كبار الدولة في مصر على المعز لفتح بلادهم، الا ان الخليفة لم يُقدم على ذلك الا بعد تأزم علاقته مع القرامطة الذين شنوا حملات فاشلة على الاقطاعات الإخشيدية في الشام وهو ما يدل على اتجاههم في منحى لا يخدم الا مصالحهم الخاصة ويعارض مصلحة الفاطميين، وسهر الخليفة على

---

[1] **ألمرية:** ثغر أندلسي في الجنوب الشرقي من السواحل الاسبانية، القاضي النعمان، المجالس، ص165

[2] نفسه، ص165

[3] نفسه، ص166-167

[4] الدشراوي: المرجع السابق، ص346

[5] **كافور الإخشيدي:** هو أبو المسك كافور بن عبد الله الاخشيدي، كان عبدا لبعض أهل مصر ثم اشتراه أبو بكر بن محمد ابن طغج الاخشيد سنة 312هـ والذي ترقى عند فيما بعد، لما توفي الاخشيد تعاقب على حكم مملكة مصر والشام من بعده ولديه أبو القاسم أنجور ثم أبو الحسن علي، ولما توفي هذا الأخير استقلّ كافور بحكم المملكة وخلع أبناء سابقيه سنة 355هـ، ابن خلكان، المصدر السابق، ج4، ص99-100

[6] الدشراوي: المرجع السابق، ص376

استعدادات الحرب بنفسه وبدأ حشد الجنود وجبي الضرائب من طرف جوهر خلال اتصاله بالكتاميين وأصبح الأمر مُهيئا للحرب[1]، وأمر المعز قبل ذلك عامل برقة بحفر الآبار في الطريق إلى مصر وبناء قصر في كل مرحلة[2].

قَدِم جوهر إلى مصر ومعه من السلاح والخيل والعدد مالا يوصف ووصلت البشارة بفتحها وذلك في منتصف رمضان سنة 358هـ فابتهج الخليفة المعز لهذا الخبر ابتهاجا كبيرا، وخرج فيما بعد من المغرب يوم الاثنين 22 شوال سنة 361هـ وكان خروجه من المنصورية رفقة بلكين ابن زيري الذي سلمه افريقية وكل المغرب ماعدا صقلية وطرابلس وأعمالها وأمر الناس له بالسمع والطاعة[3].

[1] الهادي روجي ادريسي: **الدولة الصنهاجية تاريخ افريقية في عهد بني زيري من القرن 10 إلى القرن 12م**، ترج حمادي الساحلي، دار الغرب الإسلامي، ط1، بيروت، 1992م، ج1، ص61

[2] المقريزي: الاتعاظ، ج1، ص96

[3] نفسه، ص100-101

المبحث الثالث: السياسة المذهبية الفاطمية

أولا: قبل قيام الدولة الفاطمية

تماشت سياسة نشر المذهب الإسماعيلي مع الظروف العامة التي كانت تعيشها بلاد المغرب فحين قدم أبو عبد الشيعي وجد الأمر مهيئا للدعوة الإسماعيلية فسار على نفس نهج سابقيه في الاعتدال والتدرج عند نشر دعوته[1].

وكانت سياسة أبي عبد الله تهدف إلى أمر عظيم، فبمجرد أن دخل رقادة بادر إلى بسط مذهبه عقائديا وسياسيا فأظهر السلوك الحسن، والصفات الفاضلة التي تؤهله لقيادة الدولة، فظهرت عليه العدالة، والنزاهة، والأمانة، والإحسان، حتى أقبل الناس عليه فكانت سياسته مدرسة للتعايش بين المذاهب المختلفة قبل الإعلان عن قيام الدولة الفاطمية رسميا، وذلك تفاديا للتصادم مع المذاهب الأخرى التي كان لها دورها في بلاد المغرب، كمذهب أهل السنة والجماعة، ومذهب الخوارج[2] من جهة، وحاجته الماسة إلى كسب الأنصار والأتباع وتقوية عضده من جهة أخرى[3].

ولقد أحسن أبو عبد الله الشيعي التصرف عند دخوله القيروان سنة 296هـ حيث استقبل تجار وفقهاء المدينة بود، نظرا لمكانتهم الكبيرة عند العامة، وأمّنهم على أرواحهم وممتلكاتهم، ومنع جنده من القيام بأية أعمال عدائية[4] وباشر في غرس مذهبه بين الأهالي، فحارب السلوكات القبيحة لأهل المغرب كشرب الخمر والفساد والدعارة وأمرهم بالكف عنها[5].

---

[1] فاطمة بلهواري: **الفاطميون وحركات المعارضة في بلاد المغرب الإسلامي**، دار المسك للطباعة والنشر، تلمسان، 2011م، ص15-16

[2] **الخوارج**: هم كل من خرج على الامام الحق الذي اتفقت عليه الجماعة سوآءا أكان الخروج في أيام الصحابة على الخلفاء الراشدين أو كان بعدهم على التابعين بإحسان والائمة في كل زمان، وأول من خرج على علي بن أبي طالب جماعة ممن كان معه في حرب صفّين ضد معاوية لما لجأ إلى تحكيم كتاب الله، من أكبر فرقهم المحكّمة، النجدات، الاباضية، الصّفرية، الشهرستاني، المصدر السابق، ج1، ص114-115

[3] بلهواري: المرجع السابق، ص16-17

[4] القاضي النعمان: الافتتاح، ص245

[5] نفسه، ص246-247

ويبدو أن أبو عبد الله الشيعي قد انتهج سياسة مغايرة لما ذكرناه في بادئ أمره، عندما حل بايكجان حيث أمر بإسقاط صلاة التراويح في رمضان لأنها من سنة عمر بن الخطاب[1]،كما أمر بزيادة (حيّ على خير العمل) في آذان الفجر[2]، وبذلك فتح على نفسه باب المعارضة التي كادت ان تنسف الدعوة الشيعية من بلاد المغرب نهائيا، ولولا تداركه للأمر بفضل فطانته وقدرته على الاقناع واستغلاله لسذاجة أهل المغرب باعتماد الخرافة والسحر والشعوذة لوقع مالم يكن في الحسبان[3]، ولما عزم أبو العباس أخو الداعية أبو عبد الله على نشر التشيّع قسرا وطرد فقهاء المالكية من القيروان منعه أخوه من ذلك قائلا: "ان دولتنا دولة حجة وبيان وليست دولة قهر واستطالة، فترك الناس على مذاهبهم"[4]، لكن أبا العباس ضرب بتعليمات أخيه عرض الحائط عند خروج أبي عبد الله الشيعي إلى سجلماسة لتحرير المهدي، فبادر إلى نشر المذهب الإسماعيلي بالقوة، وأمعن في الضرب والتعذيب بل وحتى قتل الزعماء والتمثيل بهم ثم صلبهم في الأسواق لبث سياسة التخويف والترهيب[5]، وتطور الأمر مع تولية عمر المروزي للقضاء في مدينة القيروان[6] حيث شرع في اجبار الناس على العمل بالمذهب الإسماعيلي قائلا لهم: "اعملوا بمذهب أهل البيت واتركوا الفضول"، وأمر بإسقاط صلاة الاشفاع في رمضان، واسقاط الحنث عمّن طلق بالبتة، واحاطة البنات بالميراث، وهو الأمر الذي لم يستسيغه سكان بلاد المغرب فأثار ذلك سخطهم وغضبهم، وجاهروا بمعارضتهم لهذه السياسة المذهبية، وعند قدوم شهر رمضان أقبل المروزي إلى المسجد في أول أيامه فوجد في موضع جلوسه على الحائط مكتوبا: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ وَسَعَىٰ فِي خَرَابِهَا أُولَٰئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَن يَدْخُلُوهَا إِلَّا خَائِفِينَ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾[البقرة: 114] ، فسأل عن الفاعل فلم يهتد اليه فأمر بمحو الآية وغيّر مكان جلوسه، وفي مرة أخرى وقف عند المروزي رجلا فقال له: "لقد لطفت لنا –أصلحك الله–في قطع قيام شهر رمضان، فلو احتلت لنا في ترك صيامه

[1] ابن عُذارى: المصدر السابق، ج1، ص127

[2] بلهواري: المرجع السابق، ص19

[3] نفسه، ص19-20

[4] شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويري: **نهاية الارب في فنون الأدب**، تح د. نجيب مصطفى فواز ود. حكمت كشلي فواز، دار الكتب العلمية بيروت، ط1، لبنان، 2004م، ج28، ص61

[5] بلهواري: المرجع السابق، ص22

[6] ادريس عماد الدين: المصدر السابق، ص140

لكفيتنا مؤونته كلها" فدفعه المروزي ونعته بالملعون[1]، وهذا ما يدل على معارضة أهل السنة والجماعة الذين ركنوا بعدها إلى التستر خشية من الإسماعيليين، وخرجوا لاستقبال موكب المهدي بعد خروجه من سجن سجلماسة[2]، وبعدها تبدأ فترة جديدة من السياسة المذهبية الفاطمية في عهد المهدي.

ثانيا: بعد اعلان قيام الدولة الفاطمية

لما استقرّ الأمر لعُبيد الله المهدي بافريقية واستتب له الأمر بها، أحدث مالم يعهده السكان السنة[3]، ومن جملة ما قام به أنه قطع صلاة التراويح في شهر رمضان، وأمر بصيام يومين قبله، وقنت في صلاة الجمعة قبل الركوع، وجهر بالبسملة في الصلاة المفروضة، وأسقط من آذان صلاة الصبح (الصلاة خير من النوم)، وزاد (حي على خير العمل محمد وعلي خير البشر)، ثم يقول المؤذن: "حيّاك الله يا مولانا حافظ نظام الدنيا والدين، جامع شمل الإسلام والمسلمين، وأعز سلطانك جانب الموحدين، وأباد بسيوفك كافة الملحدين، وصلى عليك وعلى آبائك الطاهرين وأبنائك الأكرمين، صلاة دائمة إلى يوم الدين، وآخر دعوانا ان الحمد لله رب العالمين)[4]، وأدخل المهدي تغييرات في العقيدة وتشدد في تطبيقها كإسقاطه الرجم عن المحصنين في الزنا، واسقاطه المسح عن الخفين والصوم بعلامة والفطر بها لا بالرؤية، ومما زاد في سخط الأهالي إزاء سياسة المهدي هو المبالغة في الطقوس الدينية كالمجاهرة بأنه رسول ونبي واعطائه صفات الخالق، وكان الشيعة في وقتها متعالون وكأنهم من غير البشر وعندهم أسرار الغيب وعلم ما سيكون، وبأن لديهم كتب تتضمن رموز لا يفهمها غيرهم فيها كل ما سيحدث[5].

تمادى المهدي في غيّه وأسدى تعليماته بأن تُمحى من على المساجد، والمواجل، والقصور، والقناطر، أسماء الذين بنوها ويكتب عليها اسمه، وأظهر التشيع القبيح وسبّ أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم باستثناء علي بن أبي طالب والمقداد بن الأسود، وعمار بن ياسر، وسلمان الفارسي، وأبي

---

[1] ابن عُذارى: المصدر السابق، ج1، ص152

[2] بلهواري: المرجع السابق، ص24-25-26

[3] طارق بن زاوي: **استقلال المعز بن باديس الزيري عن الدولة الفاطمية**، (مذكرة ماجستير)، التاريخ الوسيط، اشراف: د/رافعي نشيدة، جامعة الجزائر، الجزائر، 2009/2008، ص32

[4] ابن حماد: المصدر السابق، ص50-51

[5] بلهواري: المرجع السابق، ص27-28

ذر الغفاري، على اعتبار أن أصحاب النبي ارتدوا بعده من غير الذين ذكرناهم[1]، وأُنتُهكت حرمات المساجد في أيامه، فقد روي أن بعض أتباعه أدخلوا خيولهم المسجد، ولما قيل لهم : كيف تدخلون خيولكم المسجد ؟، قالوا : إنّ أرواثها وأبوالها طاهرة لأنّها خيل المهدي، فقال لهم القيّم على المسجد: إنّ الذي يخرج من المهدي نجس، فكيف بالذي يخرج من خيله، فقالوا له : طعنت على المهدي، وأخذوه ثمّ قتلوه[2]، ونصّب حسينا السبّاب لعنه الله تعالى في الأسواق للسبّ بأسجاع لقّنها يوصل منها إلى سبّ النبي صلى الله عليه وسلم، كقوله العنوا الغار وما وعى والكساء وما حوى وغير ذلك، وعلّقت رؤوس الأكباش والحمر على الحوانيت عليها قراطيس معلقة فيها أسماء الصحابة رضي الله عنهم[3].

فالسياسة المذهبية التي اعتمدها الفاطميون في افريقية، وبلاد المغرب، قائمة أساسا على الاضطهاد، والتعصب للمذهب الشيعي الإسماعيلي، وهي ضد كل المذاهب المخالفة لهم وليست ضد السنة المالكية فقط، فمن بين المذاهب التي تصادمت معهم كذلك، الخوارج الذين لا يحتاجون إلى فتاوى كثيرة وتفكير عميق للخروج على الحكام، لذلك استجمعوا قواهم ونظموا أنفسهم ولم يترددوا في اعلان تمردهم ضد الدولة الفاطمية، مستغلين بذلك وفاة عبيد الله المهدي، وكذلك فعل المالكية بالرغم من انهم يضيّقون باب الخروج على الحكام كثيرا، فنجدهم قد تبنّوا كل أشكال المقاومة بما فيها العمل المسلح ومشاركة ثورة الخارجي أبو يزيد مخلد بن كيداد[4] لأنهم نظروا إلى كل هذه الأمور بأنها زندقة وكفر وخروج عن ملة الاسلام[5].

---

[1] ابن عُذارى: المصدر السابق، ج1، ص159

[2] نفسه، ص284

[3] القاضي عياض نقلا عن إبراهيم التهامي: **جهود علماء المغرب في الدفاع عن عقيدة أهل السنة**، مؤسسة الرسالة ناشرون، ط1، بيروت، 2005، ص291.

[4] طارق بن زاوي: المرجع السابق، ص35

[5] بلهواري: المرجع السابق، ص29

الفصل الثاني: مواقف المالكية تجاه الوجود الفاطمي بالمغرب الاسلامي.

المبحث الأول: فقهاء رافضون للوجود الفاطمي

أولا: فقهاء رافضون بقلبهم فارون بدينهم

ثانيا: فقهاء رافضون بالعلم ومجاهرون بعقيدتهم

ثالثا: فقهاء رافضون بالسلاح

المبحث الثاني: فقهاء مؤيدون للوجود الفاطمي

أولا: فقهاء متعاطفون مع الفاطميين

ثانيا: فقهاء موالون للفاطميين

المبحث الأول: فقهاء رافضون للوجود الفاطمي

نال فقهاء المالكية حصة الأسد بالمقارنة مع غيرهم في مناهضتهم ومجابهتهم لجهود التشيّع في المغرب الإسلامي، وبالرغم من أن السّواد الأعظم منهم منكرون للوجود الفاطمي وعقيدتهم، الا انّه يوجد من بينهم من لم ينكر على العُبيديين وكان متعاطفا مداهنا، أو موافقا خائنا، لذلك يمكن تصنيف فقهاء المالكية حسب مواقفهم تجاه الوجود الفاطمي ببلاد المغرب الإسلامي كالآتي[1]:

أولا–فقهاء رافضون بقلبهم فارّون بدينهم: من بينهم ما يلي:

1–محمّد بن بسطام: هو أبو عبد الله محمد بن بسطام بن رجاء الضّبي، كان زاهدا متعبّدا ومؤلفا، حيث ألّف عدة كتب بخط يده، ولكثرة انشغاله بالتأليف اشترى وصيفا لإصلاح المصباح في الليل، فرّ بدينه وانتقل من القيروان إلى سوسة التي استوطنها ومات بها سنة 313هـ[2]، من بين ما قال أنّه سمع جده محمّدا يقول: "لا تجلسوا عند عالم يزهدكم في الآخرة، ولكن اجلسوا عند عالم ينقلكم من الشك إلى اليقين، ومن الريّاء إلى الإخلاص، ومن الرغبة إلى الرهبة، ومن الكبر إلى التواضع"[3]، كان يجالس فقهاء القيروان في جامعها للمناظرة ويقال أنه أدخل الكثير من كتب فقه رجال الامام مالك مثل كتب المغيرة، وكتب ابن كنانة، وكتب ابن دينار[4].

2–أبو محمد عبد الله التاهرتي: اسمه نسبة إلى مدينة تاهرت بالمغرب الأوسط، كان فاضلا متعبدا استقر بمدينة سوسة فارا بدينه من بني عبيد ومحتسبا أمره لحراسة المسلمين فيها، حكى عنه أبو إسحاق السبائي بأنه أصيب بمرض شديد حتى يئسوا منه وظنوا أنه مودعهم، فقال التاهرتي للذي يخدمه: "أني لست أموت من هذه العلة، وأنا أفيق منها ان شاء الله تعالى، فاذا كانت المرضة الثانية

---

[1] علي الشريف بشير بويجرة: "جهاد الفقهاء المالكية، وأساليب مقاومتهم للدولة الشيعية العبيدية"، **الحوار المتوسطي**، جامعة الزيتونة، العدد 3، تونس، 2020/12/31، ص120

[2] إبراهيم التهامي: المرجع السابق، ص315.

[3] أبو بكر عبد الله بن محمد المالكي: **رياض النفوس**، تح بشير البكوش، دار الغرب الإسلامي، ط2، بيروت،1994، ج2، ص181

[4] قاسم علي سعد: **جمهرة تراجم الفقهاء المالكية**، دار البحوث للدراسات الإسلامية واحياء التراث، ط1، الامارات العربية، 2002م، ج2، ص1037

بعدها توقعوا موتي"، فقال السبائي: "ما أراه الا قد دعا الله عز وجل فأخبره بذلك في منامه"، توفي هو الآخر سنة 313هـ[1].

3-أبو محمد يونس بن محمد الورداني: يقول المالكي عن رواية أبي القاسم اللبيدي انّ يونس خاف على نفسه لما استولى عُبيد الله المهدي على افريقية وأقام بها دولته الفاطمية، فخيّر أهله بين أمرين، الهروب من افريقية دون العودة اليها، أو الاقبال على رعي البقر وما فيه من اعتزال للناس، فأجابه أهله للخيّار الثاني حتى لا ينقطع نظرهم اليه ويطمئنون عليه دائما، فأقبل على رعي البقر من طلوع الصبح إلى حلول الظلام وبعدها يعود إلى منزله بعد أن أمضى يومه كاملا في قراءة القرءان من مصحفه الذي لازمه طيلة هذه المدة، فبقي على هذه الحالة إلى ان توفّاه الله ونجّاه من فتنة بني عبيد، لذلك يُقال ان ذكره كان مخمولا[2]، توفي سنة 299هـ.

4-عمر بن عبد الله بن يزيد الصدفي: طلب العلم وتفقه في الدين، اعتزل الناس وعكف على العبادة وقيام الليل وقراءة القرآن حتى كانت له في كل ليلة ختمة، ولما دخل بنو عبيد افريقية فرّ وسكن المنستير التي لم يتخذ فيها بيتا مدة من الزمن، ولما تعاظم أمره كان إذا تكاثر الناس بالقصر في الموسم خرج إلى سوسة التي كانت له بها زوجة ثانية فيقيم بها، وكان يرتدي الثياب الحسن ويتستر بزي التجار ويتعمم حتى لا يتعرف عليه أحد، لدرجة انّ الناس كان يقصدونه للتبرك بدعائه فلا يتعرفون اليه وهو بينهم بسوسة، واذا انتهت أيام الموسم عاد إلى زيّه ومكانه توفي سنة 350هـ أو 352هـ أو 347هـ[3].

5-ابن الحزّاز المليلي: هو أبو جعفر أحمد بن الفتح المليلي ويعرف بابن الحزّاز، كان مميّزا في الرواية والشعر وحفظ الأخبار، شغل منصب قاضي مليلة، ثم فرّ إلى قرطبة بالأندلس سنة 325هـ خشية جنود الفاطميين، فأكرمه عبد الرحمان الناصر[4] أمير الأندلس وخصّه بالقضاء في ناحيته، توفي بمليلة سنة 330هـ[5].

---

[1] المالكي، المصدر السابق، ج2، ص182

[2] نفسه، ص45-46

[3] القاضي عيّاض، المدارك، ج6، ص50-51

[4] **الناصر:** هو عبد الرحمان الناصر أمير الأندلس، بويع بالإمارة سنة 300هـ بعد وفاة والده عبد الله بن محمد بن عبد الرحمان، وكان عمره آنذاك ثلاث وعشرين سنة، توفي سنة 350هـ وله اثنان وسبعون عاما، إبراهيم التهامي، المرجع السابق، ص316

[5] ابن الفرضي: **تاريخ علماء الأندلس**، الدار المصرية للتأليف والترجمة، القاهرة، 1966، ص61

6-محمد بن أحمد بن يونس: هو أبو البشر محمد بن أحمد بن يونس السوسي، كان صالحا متعبدا مسكنه بسوسة بجوار دار العامل، كان كثير الذكر والعبادة يتوجه دائما إلى مسجد الدمنة بسوسة فيجتمع اليه أهل الضرّ فيسألهم عن حالهم ويشدُد أزرهم ويقول لهم: "لو عاينتم ما لكم عند الله عز وجل من الأجر والثواب لهان عليكم ما أنتم فيه"، ثم يذكرهم بما جاء في الحديث:«إنّ أهل الضر والبلاء إذا عاينوا ثواب الله عز وجل لهم في الآخرة ودوّا لو أعادهم الله سبحانه إلى الدنيا وقرضت لحومهم بالمقاريض» [1]، فلا ينصرف من عندهم الا وقد خفّف عليهم من محنتهم، توفي سنة 331هـ[2].

7-محمد بن نظيف: هو أبو عبد الله محمد بن نظيف البزاز كان من الفقهاء البارعين والأئمة المعدودين، يُقال انه دخل إلى مكان تُباع فيه الكتب وفيه جماعة من الصالحين وأهل العلم، فلما رأوه قاموا جميعا على أرجلهم اجلالا وتقديرا له، وكان ممن رأى الحادثة شاعر من شعراء زمانه، فأراد أن يختبر علم البزاز فوجده بحر ممتد، عندها قال لو قام الناس على رؤوسهم لهذا الرجل لكان قليلا عليه، انقطع عن الدنيا وأقبل على العبادة وخرج من افريقية في اتجاه المشرق لما ظهر من سبّ السّلف الصالح رضوان الله عليهم ما ظهر من طرف بني عبيد، توفي سنة 355هـ[3].

8-أحمد بن نصر الداودي الأسدي: من أئمة المالكية بالمغرب أصله من المسيلة وقيل من بسكرة، كان بطرابلس وبها أملى كتابه في شرح الموطأ، ثم انتقل إلى تلمسان، كان ينكر على معاصريه من علماء القيروان سكناهم في مملكة بني عبيد وبقائهم بينهم، والذين كانوا يرون من وجهة نظرهم ان بقائهم هو تمكين المسلمين لدينهم وتثبيتهم عليه، كان فقيها فاضلا ومؤلفا مجيدا ألف العديد من الكتب منها (القاضي في شرح الموطأ)، (الواعي في الفقه)، (النصيحة في شرح البخاري)، توفي سنة 402هـ[4].

---

[1] يقول المالكي رواه الترمذي في سننه (أبواب الزهد رقم 2513)، المالكي، المصدر السابق، ص275، وبرجوعي إلى سنن الترمذي وجدت لفظه كما يلي: حدثنا محمد بن حُميد الرازي ويوسف بن موسى القطان البغدادي قالا: حدثنا عبد الرحمان بنُ مغراءَ أبو زهير عن الأعمش عن أبي الزبير عن جابر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « يودّ أهل العافية يوم القيامة حين يُعطى أهل البلاء الثّواب لو أنّ جلودهم كانت قرضت في الدنيا بالمقاريض»، الترمذي، المصدر السابق، مج3، ص447

[2] المالكي: المصدر السابق، ج2، ص275

[3] نفسه، ص467-468

[4] القاضي عيّاض، المدارك، ج7، ص103-104

9-أبو عبد الله محمد البرانسي: يلقب بالصامت كان عابدا فاضلا، ويعتبر من أبر الفقهاء الذين اتخذوا موقفا معاديا للفاطميين، ومن أساليبه أنه يقيم رجب وشعبان ورمضان ولا يتفوه بكلمه بل يرد السلام عن طريق الإشارة فقط[1]، ويذكر الدبّاغ ردا عليه: "كونه يرد السلام إشارة ليس بصواب ولا يقتدى به في هذا لان السلام لأن السلام لا يكون الا بالنطق وكذلك الرد"، توفي سنة 357 ودفن بباب سلم رحمه الله تعالى[2].

ثانيا: فقهاء رافضون بالعلم مجاهرون بعقيدتهم

1-ابن البردون وابن هُذيل: ابن البردون هو الامام الشهيد المفتي أبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن البردون الضبي، كان بارعا في العلم والمناظرة ولم يكن في شباب عهده أقوى منه في الجدل وإقامة الحجة[3]، وأبو بكر بن هُذيل كان هو الآخر من المتورّعين وكان عيشه من كدّ امرأته التي تشتري الكتان وتغزله وتبيعه أبدانا[4]، وصل خبرهما إلى أبي عبد الله الشيعي بأنّها يطعنان في أمر دولته ولا يفضلان عليّا، فتم حبسهما ثم أُسديت التعليمات لمتولي القيروان بضرب ابن هذيل خمسمائة سوط، وضرب عنق ابن البردون، فأخلط متولي القيروان الحكم فضرب عنق ابن هذيل وضرب ابن البردون، وقيل لهذا الأخير عندما جُرّد للقتل، أترجع عن مذهبك؟ فقال أعن الإسلام أرجع؟، ثم صُلبا سنة 299هـ[5].

ويقول محمد بن خُراسان نقلا عن الذهبي: ان عبيد الله المهدي لما وصل إلى رقادة طلب ابن البردون وابن هُذيل فأتياه وهو على السرير، على يمينه أبو عبد الله الشيعي وعلى يساره أخوه أبو

---

[1] علاء كامل صلاح العيساوي ومحمد حلو خلف الفرطوسي: الفتاوى التي أصدرها فقهاء المالكية وأثرها على الدولة الفاطمية لغاية سنة (362هـ/792م)، **مجلة حولية المنتدى**، العدد 14، آذار 2018م، ص104

[2] عبد الرحمان بن محمد الانصاري الأسيدي (الدبّاغ): **معالم الايمان في معرفة أهل القيروان**، علق عليه أبو الفضل أبو القاسم بن عيسى بن ناجي التنوخي، تحقيق محمد الاحمدي أبو النور، مكتبة الخانجي، مصر، 1968م، ج3، ص74-75

[3] شمس الدين محمد بن أحمد الذهبي: **سير أعلام النبلاء**، تحقيق أكرم البوشي، مؤسسة الرسالة، ط1، بيروت، 1983م، ج14، ص215-216

[4] المالكي: المصدر السابق، ج2، ص49-50

[5] الذهبي: المصدر السابق، ج14، ص216

العباس، فقال: أتشهدان ان هذا رسول الله؟ فقالا بلفظ واحد: والله لو جاءنا هذا والشمس عن يمينه والقمر عن يساره يقولان انه رسول الله، لما قلنا ذلك، فأمر بذبحهما[1].

2-أبو عبد الله محمد بن عبد الله السدري: يعتبر من العُبّاد الزّهاد كثير السفر والحج كثير الخشوع لا يقبل على شيء الا بذكر الله ولو كان طعاما، يعود سبب مقتله إلى جهاده لبني عبيد ومجاهرتهم بالعداوة فعندما بلغ أمره للمهدي أمر في طلبه فجاؤوه به على دابة مقيّد الرجلين ولما وقف بين يدي عبيد الله قال له: أنت الشّاتم لنا الذّاكر عنا أنا أحدثنا في الإسلام الحوادث؟، فقال: نعم انا القائل ذلك، فقال له: وما رأيته فينا؟، فأخبره بكل ما يعتقده في الدين والإسلام وكل ما أحدث فيهما، فقال لهم المهدي: اضربوا عنقه ولما أخرجوه لذلك دعا ربه بأن لا يبقيه بعده، فتوفي رحمة الله عليه سنة 309هـ فما كانت الا مدة يسيرة حتى ابتلاه الله بعلة أدت إلى وفاته[2].

3-أبو جعفر المعافري: هو أبو جعفر محمد بن محمد ابن خيرون المعافري، أندلسي المنشأ وقيرواني القرار، رحل إلى العراق وسمع بها من عدة مشايخ، ثم عاد إلى القيروان التي استوطنها إلى ان مات بها شهيدا، ويُعتبر من الفقهاء الصالحين العُبّاد يعود سبب مقتله إلى جهاده على دين الله تعالى وبغضه لبني عبيد، سعى به المروذي قاضي الشيعة إلى عُبيد الله المهدي فأمر بحبسه ثم بتعذيبه إلى أن مات، حيث أتوا به وأدخلوه مجلسا اين بُطح على ظهره وقام السودان بالقفز عليه بأرجلهم من على السرير إلى أن مات سنة 301هـ، فحملوه على بغل ورموه في حفرة ونهبوا كل أمواله[3].

4-عروس المؤذن: هو الشهيد الزاهد المتعبد المقتول على السنة رحمة الله عليه، كان يطحن بيده ويعيش من عمل الحلفاء، يعود سبب قتله إلى أنه كان يرفع الآذان من مسجد عباس الفقيه صاحب سحنون فشهد عليه الشيعة أنه لا يقول في آذانه عبارة (حي على خير العمل)، فقُطع لسانه وعُلّق بين عينيه وطيف به في القيروان ثم قُتل بالمرضاخ سنة 317هـ[4].

5-أبو جعفر أحمد بن نصر: هو أبو جعفر أحمد بن نصر ابن زياد الهواري البربري ولد سنة 235هـ، سمع عن محمد بن سحنون وغيره، وكان من العلماء الراسخين والحفاظ المعدودين، كان لا

---

[1] الذهبي: المصدر السابق، ج14، ص216-217

[2] المالكي: المصدر السابق، ج2، ص166-172

[3] الدبّاغ، المصدر السابق، ج2، ص288-292

[4] نفسه، ج3، ص5

ينظر في شيء من العلم غير مذهب الامام مالك ومسائله، كان حاذقا بالمناظرة، جيد القريحة، يجيد الكلام في علم الفرائض والوثائق، شديد التواضع سليم القلب بعيدا عن التصنع، يقصده الناس فيجتمعون اليه في مسجد رحبة القريشيين ويفتي لهم بمذهب الامام مالك، فأمر عُبيد الله الشيعي في طلبه فقيّده وسجنه بالمهدية سنة 308هـ وبعد خروجه لزم بيته إلى ان توفاه الله سنة 317هـ[1].

6-أبو بكر اللبّاد: هو أبو بكر محمد بن محمد بن وشاح المعروف بابن اللباد كان رجلا صالحا وفقيها جليل القدر، سمع من ابن طالب ويحي بن عمر، وكان من الحُفّاظ المعدودين والفقهاء المبرزين شديد البكاء والخشية مجاب الدعوة كثير الصبر مما جعله يتحمل زوجته سليطة اللسان، ويكتفي بقول إن لكل مؤمن محنة وهذه محنتي[2]، تعرض للسجن من طرف الشيعة الفاطميين ثم أطلقوا سراحه بعد أن منعوه من الفتوى، لكنهم لم ينالوا من عزيمته في آداء رسالته التعليمية فكان يقوم بذلك سرا إلى ان توفاه الله سنة 333هـ[3]، فكان ابن ابي زيد القيرواني وابن التبان يأتيان اليه خفية وربما جعلا الكتب في أوساطهما حتى تبتل بالعرق خوفا من أن تطالهم يد بني عبيد[4].

7-إبراهيم بن عبد الله الزبيري: هو أبو إسحاق إبراهيم بن عبد الله الزبيري المعروف بالقلاسني، فقيه وعالم، سمع عن حماس بن مروان والمقامي وغيرهما، روى عنه ابن سعيد وأبو جعفر الداودي، له تآليف حسنة منها (كتاب الامامة) و(كتاب الرد على الرافضة)[5]، تعرض لمحنة شديدة في عهد الدولة الفاطمية الشيعية حيث ضُرب سبعمائة سوط وحُبس في دار البحر بالمهدية أربع أشهر بسبب تأليفه كتاب الامامة، وقيل بسبب كتاب الامامة لمؤلفه محمد بن سحنون، توفي رحمة الله عليه سنة 359هـ[6].

8-سعيد ابن الحداد: هو أبو عثمان سعيد بن محمد بن صبيح بن الحداد المغربي، امام وشيخ المالكية، كان بحرا ممتدا في الفروع، بصيرا بالسنن، عُرف بذمه للتقليد الذي يعتبره نقص للعقول، له مواقف كثيرة في الذود عن السنة منها مناظرته لأبي العباس أخ أبي عبد الله الشيعي والتي تكلم فيها

---

[1] الدبّاغ: المصدر السابق، ج3، ص6-9

[2] المالكي، المصدر السابق، ج2، ص283-285

[3] ابراهيم التهامي: المرجع السابق، ص319.

[4] الدبّاغ: المصدر السابق، ج3، ص25

[5] محمد بن محمد مخلوف: **شجرة النور الزكية في طبقات المالكية**، المطبعة السلفية ومكتبتها، القاهرة، 1349هـ، ص94

[6] محمد محفوظ: **تراجم المؤلفين التونسيين**، دار الغرب الإسلامي، ط1، بيروت، 1982م، ج2، ص411

مدافعا عن السنة دون أن يخشى في الله لومة لائم، توفي سنة 302هـ عن عمر يناهز الثلاث والثمانون سنة[1].

9-موسى بن عبد الرحمان: هو موسى بن عبد الرحمان بن حبيب أبو الأسود المعروف بالقطان، من تلامذة محمد بن سحنون وهو قاضي من فقهاء المالكية، ولى القضاء بطرابلس فنشر العدل وقضى على الظلم وأخذ بحق الضعيف من القوي، فبغوا عليه وآذوه وعزلوه من منصبه، ضربه المروذي بالسّوط بطحا وحُبس شهورا، توفي سنة 306هـ[2]، له اثنا عشر جزءا ألّفها في أحكام القرآن[3].

10-حسين بن مفرج: هو أبو القاسم حسين بن مفرج مولى مهرية بنت الأغلب، كان مهتما بالعلم والوثائق، سمع من أصحاب سحنون، غلب عليه الحديث وكان مهتما برجاله، له كتاب حسن في تاريخ المولد والوفاة، قُبض عليه الشيعة لمجاهرته لهم بالعداوة فضُم هو وأبو عبد الله السدري إلى المهدية سنة 308هـ فضربا ثم قتلا ثم صلبا[4].

11-أبو جعفر أحمد بن نصر الداودي: من مواليد مدينة المسيلة وقيل من واحة ليانة بأعمال بسكرة التي يوجد له بها مسجد ومقبرة يحملان اسمه، رحل إلى طرابلس وأقام بها مدة ثم عاد إلى تلمسان التي استقر بها خوفا من الشيعة وبها توفي سنة 402هـ، من مؤلفاته كتاب (النامي) وهو شرح لموطأ مالك في الفقه والحديث، وكتاب (النصيحة) وغيرهما، وقف بالمرصاد ضد الشيعة الفاطميين وكفّر كل من يدعو إليهم على المنابر[5].

ثالثا: فقهاء رافضون بالسلاح

لم يعتمد فقهاء المالكية في بلاد المغرب الإسلامي في بداية صراعهم مع الدولة الفاطمية على المقاومة المسلحة خوفا من مآلاتها والنتائج المترتبة عنها من جهة، ولعدم استعدادهم واعداد العدة لها من جهة أخرى، لذلك عارض غالبيتهم كل من يدعو إلى التمرد المسلح على الفاطميين، وبالرغم من ذلك فقد

---

[1] الذهبي، المصدر السابق، ج14، ص205-214

[2] أبو العرب محمد بن أحمد بن تميم التميمي: **كتاب المحن**، تحقيق يحي وهيب الجبوري، دار الغرب الإسلامي، ط3، بيروت، 2006م، ج5، ص363

[3] ابن عُذارى، المصدر السابق، ج1، ص181

[4] القاضي عيّاض، المدارك، ج5، ص301-311

[5] يحي بوعزيز: **أعلام الفكر والثقافة في الجزائر المحروسة**، دار الغرب الإسلامي، ط1، بيروت، 1995م، ص30

اجتهد الكثير من الفقهاء المالكية في نشر الوعي بين أوساط العامة وحرضوهم على الاقتتال ومن بين هؤلاء نجد[1]:

1-جبلَة بن حمود الصدفي: هو أبو يوسف جبلة بن حمود بن عبد الرّحمان بن جبلَة الصدفي، ولد سنة 210هـ، سمع من سحنون وغيرة من المصريين والافريقيين روى عنه المدونة، وكان من أهل الخير والعبادة والورع والزهد قال فيه سحنون: "إذا عاش هذا الشاب فسيكون له نبأ"، كان أبوه من أهل المال ومن المقربين من السلطان، فلم يكن يرضيه ذلك لدرجة أنه تبرأ من تركة والده بعد مماته، فكان شغله الشاغل العبادة، ولم يكن بصيرا بشيء من أمر دنياه[2].

كان جبلَة بن حمود شديدا في محاربة أهل البدع، ولم يصل أحدا إلى مستوى مناهضته ومجابهته للشيعة، فلما دخل عُبيد الله افريقية واستقر برقادة، ترك سكنه بالرباط ونزل إلى القيروان، ولما سُئل عن سبب ذلك قال: "كنا نحرس عدوا بيننا وبينه البحر، والآن حلّ هذا العدو بساحتنا، وهو أشدّ علينا من ذلك"، فكان بعد صلاته للصبح يتوجه إلى آخر القيروان من جهة رقادة ومعه سيفه وترسه وقوسه وسهامه، ويجلس نهاره كاملا إلى غروب الشمس ثم يعود إلى بيته، ويعلل ذلك بقوله: "أحرس عورات المسلمين منهم، فاذا رأيت منهم شيئا حرّكت المسلمين عليهم"، وكان يلقي باللوم على كل من يخرج من المسلمين إلى الثغور ويدعوهم إلى جهاد بني عبيد لأن جهادهم أفضل من جهاد الشرك حسب قوله[3].

قال الفقيه ابن سعدون القروي أنه بدخول عبيد الله القيروان وفي خطبته لأول يوم جمعة بحضور جبلة بن حمود، فانه استفاض غيظا من سماع كفرهم حتى قام كاشفا عن رأسه فرآه الناس وهو يقول إلى آخر المسجد، قطعوها قطعهم الله، فما حضرها أحد من أهل العلم بعد ذلك[4]، وظل على هذه الحالة إلى أن توفاه الله في صفر سنة 299هـ وصلّى عليه محمد بن محمد بن سحنون في مصلى العيد لكثرة من حضر إلى جنازته[5].

---

[1] بويجرة: المرجع السابق، ص126

[2] ابن فرحون، المصدر السابق، ص170

[3] القاضي عياض، المدارك، ج4، ص371-376

[4] نفسه، ص376

[5] ابن فرحون، المصدر السابق، ص170

2-أبو إسحاق إبراهيم بن أحمد السبائي المتعبد: ولد سنة 270هـ، أجداده من طرابلس، كان مشهورا بالعبادة فلا يضاهيه أحد من أهل زمانه في ذلك، شديد الغلظة على أهل البدع يراقبهم وينبّه الناس على زندقتهم، كان أهل العلم والدين بالقيروان يغلقون أبواب منازلهم إذا غلق، ويفتحونها إذا فتح وينطقون بمثل كلامه إذا تكلّم، لمكانته الكبيرة عندهم ولعلمه بمحن الوقت، كان مقصد طلبة العلم لدرجة أن حلقته تدور على سبعة عشر عمودا لعظمها وكبرها، وهو أحد من عقد على نفسه الخروج على بني عبيد لشدة بغضه لهم حتى أنه كان إذا ارقى، قرأ الفاتحة والإخلاص والمعوذتين كل سورة سبع مرات، ثم يقول في آخر رقيته: "ببغضي في عبيد الله وذويه، وحبي في نبيك وأصحابه وأهل بيته، اشف كل من رقيته" فيشفى بإذن الله[1]، شارك في ثورة الخوارج بقيادة أبي يزيد ضد العبيديين وقال: "هم أهل القبلة وأولئك ليسوا أهل القبلة، وهم بنو عدوّ الله، فان ظفرنا بهم لم ندخل تحت طاعة أبي يزيد لأنه خارجي"، وقال أيضا: "أي والله نجدّ في قتل المبدل للدين"[2]، فكان شديد العداوة للشيعة لايزال سلاحه في بيته مستعدا لقتالهم محرضا الناس عليهم، مجاهرا لهم بالسب والتكفير، إلى أن نكرهم الكبير والصغير، توفي سنة 356هـ[3].

3-عباس بن عيسى الممسي: هو أبو الفضل عباس بن عيسى المعروف بالممسي، سمع من موسى القطان وغيره، حسن الكلام ويجيد المناظرة، حجّ سنة 318هـ[4]، كان عالما فاضلا صواما وقواما من أهل الورع، محبوبا كثيرا من طرف أبي إسحاق السبائي، من ورعه أنه رفض في مرة من المرات أكل كعكة معجونة بالسكر بحجة أن السكر آت من صقلية، وهو مأخوذ من ضياع اقتطعها السلطان، مما قال فيه اللغوي الداروني ما يلي:

ما أشرف العلم ويا حبـذا***مجلسنا عند أبي الفضـــــل

يفيض في علم وفي حكمة***يصدر منها القول عن فصل

[1] المالكي، المصدر السابق، ج2، ص469-507

[2] الذهبي: المصدر السابق، ج15، ص155

[3] بويجرة: المرجع السابق، ص126

[4] محمد بن الحارث بن أسد الخشني: **طبقات علماء افريقية**، تح محمد زينهم محمد عزب، مكتبة مدبولي بالقاهرة، ط1، مصر، 1993م، ج5، ص179

وفي لغاب العُرب قد زانها***شواهد تُعرب عن أصـــــل[1]

دعاه الناس للخروج مع أبي يزيد ضد بني عبيد فقال لهم: "أمهلوني الليلة"، فلما أصبح، قدموا اليه فقال لهم: "اعزموا على عون الله تعالى فقد قرأت القرآن من أوله إلى آخره فما وجدت فيه ما يوجب القعود"، ولقد رأى أن الخروج مع أبي يزيد لوضع حد للدولة الشيعية فرض لازم لأن الخوارج من أهل القبلة لا يزول عنهم اسم الإسلام ويورثون ويرثون، عكس بني عبيد الذين يعتبرهم مجوس زال عنهم اسم الإسلام فلا يتوارث معهم ولا يُنسب إليهم، فرزقه الله الشهادة في قتالهم وكان ذلك سنة 333هـ، أختلف في سبب وفاته فقيل لسقوطه من على دابته في وقت الهزيمة مما أدى إلى انكسار ووركه ثم مات من بعد، وقيل بسبب كثرة جراحه في وقت القتال التي اثخنته وتسببت في سقوطه على الأرض[2].

4-ربيع القطّان: هو ربيع أبو سليمان بن سليمان بن عطاء الله القرشي النوفلي، كان حافظا لكتاب الله تعالى قارئا له بالروايات عالما بتفسيره ومعانيه، وحافظا لحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم عالما بمعانيه، سمع من أصحاب سحنون وغيرهم وسمع بمصر ومكة كذلك[3]، وهو من أهل القيروان ولد سنة 288هـ، وكان له محل لبيع القطن فسُمي بالقطّان، تحول محله إلى قبلة للسائلين في بعض العلوم، حجّ سنة 324هـ ولما عاد تحوّل إلى علم الباطن[4].

جعل على نفسه ألّا يشبع من طعام ولا نوم حتى يقطع الله عز وجل دولة بني عبيد فرزقه الشهادة في قتالهم[5]، يقال إنه لما عُوتب بسبب مشاركته أبي يزيد الخارجي في حربه على بني عبيد، ردّ قائلا: "كيف لا أفعل وقد سمعت الكفر بأُذُني"[6]، قُتل بالمهدية بالوادي المالح وقُطع رأسه وجيء به إلى أبي القاسم بن عبيد الله وكان ذلك في رجب سنة 333هـ، قيل ان المسي استشهد معه في نفس اليوم، وقيل بينهما ستة أشهر، وكان هدف بني عبيد الإمساك به حيا ليتشفّوا منه، فلما وقع الالتحام

---

[1] المالكي، المصدر السابق، ج2، ص292-296

[2] نفسه، ص297-298

[3] نفسه، ص323-324

[4] خير الدين الزركلي: **الأعلام (قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين)**، دار العلم للملايين، بيروت، د.س.ط، ج3، ص15

[5] المالكي، المصدر السابق، ج2، ص362

[6] الدبّاغ، المصدر السابق، ج3، ص31

والاقتتال نال ربيع من كثير منهم ضربا وطعنا وهم يتفرجون ويتحينون الفرصة للقبض عليه، وعندما استعصى عليهم الأمر عمد اليه جماعة منهم فقتلوه ولم يتولّوا دفنه رحمة الله عليه، واستشهد معه خمسة وثمانون رجلا من العباد والأئمة والصالحون[1].

5-عبد الله بن فطيس: هو أبو محمد عبد الله بن فطيس المتعبد سمع من يحي بن عمر وغيره، قيل إنه مرّ بجماعة من النساء وهن يبكين فحلّ وسطهنّ وهو يبكي وينوح، ولما أخبروه أنهن نساء، أجاب بأنه يحسبهم رجالا يبكون على ما اقترفوا من ذنوب[2]، ولما وصل أبو يزيد إلى القيروان وهجم أصحابه عليها وعاث عسكره في أرضها فسادا، وقف ابن فطيس على أبي يزيد وأخبره بأن عساكره هجموا على القيروان وفعلوا بها ما فعلوا، فأجابه قائلا: "ما يحلّ لي أن أمنعهم ما أباح الله تعالى لهم، لأن بلدكم هذا قد أخذته بلا عهد ولا عقد، ألم يُشتم النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه وعائشة أم المؤمنين وأنتم تسمعون ولا تغيرون؟" فقال له ابن فطيس: "كنا مستضعفين" فأجابه بقول الله تعالى:﴿ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا ﴾[النساء: 97]، فقال له: أيها الأمير أحسن إلى أهل هذه البلدة، ثم أسمعه أحد الشعراء -وكان من بين الحضور مع ابن فطيس-قصيدة مطلعها

ألا يا عباد الله قوموا فجاهدوا

وبعد سماعها أمر العساكر بالخروج من القيروان فخرجت في الحين، وكان أبو عبد الله محمد بن فطيس من بين الشيوخ الذين عقدوا في المسجد الخروج على بني عبيد[3].

6-محرز العابد: هو أبو محمد محرز بن خلف بن أبي رزين التونسي المعروف بالعابد، كان عالما صالحا ورعا من علماء افريقية، وكان متقشفا زاهدا في الدنيا مستجاب الدعوة، يذكر أن أهل تونس لما قتلوا الرافضة القتلة بتحريض من شيخهم محرز وطهر الله الأرض منهم، بلغ الخبر إلى باديس[4] أمير افريقية فعزم على مواجهة التونسيين وقال: "تكون الأرض ولا تونس" ولما وصل الخبر إلى التونسيين وابلغوا

---

[1] الدبّاغ، المصدر السابق، ج3، ص33

[2] المالكي، المصدر السابق، ج2، ص369

[3] نفسه، ص370-371

[4] **باديس**: هو أبو مناد باديس نصير الدولة تولى حكم الدولة الزيرية بعد وفاة والده المنصور سنة 386هـ وكان عمره آنذاك لا يتجاوز اثنتي عشر سنة، واستمر في الحكم إلى غاية سنة 406هـ أي طيلة عشرين سنة، روجي ادريس، المرجع السابق، ج1، ص120.

شيخهم، قال: "بل تكون الأرض ولا باديس"، وأخذوا في الدعاء عليه إلى أن أخذته ذبحة أتت عليه[1].

7-أبو العرب محمد بن أحمد: هو العلامة المفتي أبو العرب محمد بن أحمد بن تميم بن تمام المغربي الافريقي، كان جده من أمراء افريقية، أخذ أبو العرب من كثير من أصحاب سحنون وغيره، وكان حافظا للمذهب ومفتيا كذلك، صنف (طبقات أهل افريقية)، (كتاب المحن)، وكتاب (فضائل مالك)، وكتاب (مناقب سحنون)، ويقال انه كتب بيده ثلاثة آلاف كتاب، يعتبر أبو العرب واحد من الذين عزموا على الخروج على بني عبيد وشاركوا في ثورة أبي يزيد، وعند حصارهم للمهدية سمع الناس عليه كتابي (الامامة) لمحمد بن سحنون حيث قال فيهما ان قراءتهما أفضل من جميع مع كتب، توفي سنة 333هـ[2].

[1] القاضي عياض، المدارك، ج7، ص264

[2] الذهبي، المصدر السابق، ج15، ص394-395

المبحث الثاني: فقهاء مؤيدون للوجود الفاطمي

أولا: فقهاء متعاطفون مع الفاطميين

1-أبو القاسم خلف بن أبي القاسم الأزدي: المعروف بالبراذعي، ويكنى عند البعض بأبي سعيد وهو من أصحاب أبي محمد بن أبي يزيد، وأبي الحسن القابسي، وهو من حفاظ المذهب المالكي والمؤلفين فيه، له كتاب (التهذيب في اختصار المدونة)، الذي ظهرت آثاره الإيجابية على طلبة الفقه في المغرب والأندلس، ومن مؤلفاته أيضا (كتاب تمهيد مسائل المدونة) و(كتاب الشرح والتمامات) و(كتاب اختصار الواضحة)، كان مُبغضا من طرف أصحابه حيث أفتى فقهاء القيروان برفض كتبه وعدم قراءتها، ويقال ان سبب بغضهم له أنه وجد ما كتب بخط يده في مدح بني عبيد بهذا البيت:

أولئك قوم ان بنوا أحسنوا البنا***وان وعدوا أوفوا وان عقدوا شدوا

ويقال إن سبب بغضهم له يعود إلى تأليفه لكتاب يصحح فيه نسب بني عبيد، رفضته القيروان فتوجه منها إلى أمير صقلية الذي قربه اليه فاستقر هناك وألف كتابه المذكور، لم تحدد سنة وفاته[1].

2-أبو إسحاق التونسي: إسمه إبراهيم بن حسن، تفقه على يد أبي بكر عبد الرحمان وأبي عمران الفاسي وطبقتهم، كان عالما جليلا فاضلا وإماما صالحا به تفقه جماعة من الافريقيين، أخذ عنه عبد الحق وابن سعدون وعبد العزيز التونسي وغيرهم، له شروح حسنة وتعاليق متنافس فيها على كتاب ابن المواز وعلى كتب المدونة، كان مدرسا بالقيروان مع بقية المشايخ قبل الفتنة[2].

امتحن مع فقهاء القيروان محنة عظيمة سنة 437هـ وذلك بسبب فتواه في تقسيم الشيعة إلى صنفين، الصنف الأول كافر مباح الدم، والصنف الآخر من يفضل علي بن أبي طالب عن باقي الصحابة، لا يلزمهم الكفر وإباحة الدم ولا تبطل نكاحاتهم، وانتشرت فتواه فأنكرها جميع فقهاء القيروان وغيرها، وكانوا من المتشددين على هذه الطائفة المارقة وكل ما يتعلق بهم، وارسلوا إلى إسحاق لإعادة النظر في فتواه إلّا أنّه أبى، وانتهت القصة إلى السلطان المعز الذي جمع الفقهاء وناظرهم معه، فأظهر الإنابة إلى قولهم والرجوع إليه، إلاّ أنّ أصحابه أنكروا عليه ذلك فتمادى ابن إسحاق في قوله

[1] القاضي عياض، المدارك، ج7، ص256-257

[2] نفسه، ج8، ص58

وأنكر الرجوع عنه، فما كان من الفقهاء إلّا مواجهة هؤلاء وكل من يدعوا إليهم وأفتوا بكفر بني عبيد وكل من دخل في دعوتهم[1].

وبالرغم من ذلك فإن ابن عياض يؤكد على أنّ أبا إسحاق محق في رأيه لأنّ الشيعة أصناف، ومخالفته لرأي أصحابه جاء من باب الحفاظ على مصلحة العامة[2].

ثانيا: فقهاء موالون للفاطميين

قليل من فقهاء المالكية من انقلب على عقبيه ووضع نفسه في دائرة العبيديين، هؤلاء الأخيرين الذين استنفذوا كل الوسائل والطرق ليسود مذهبهم الشيعي الإسماعيلي، ومن بينها استخدام المال والمناصب والوسائل المادية لكسب العلماء إلى دائرتهم، ومن بين الفقهاء الذين أصبحوا موافقين وموالين للفاطميين ما يلي:

1-أبو حنيفة النعمان: هو النعمان بن محمد بن منصور القيرواني القاضي الشيعي ظاهرا والزنديق باطنا وليس أبو حنيفة النعمان صاحب المذهب الحنفي، يعتبر قاضي قضاة الدولة العبيدية، صنف كتاب (ابتداء الدعوة)، وكتابا في فقه الشيعة وغيرها من الكتب التي تشير إلى تجرده من الدين حيث كان يبدل فيها معاني القرآن وتحريفها، مات في رجب 363 بمصر[3].

قال عنه الذهبي: "كان مالكيا، فارتد إلى مذهب الباطنية، وصنف له أُسس الدعوة، ونبذ الدين وراء ظهره، وألف في المناقب والمثالب، ورد على أئمة الدين وانسلخ عن الإسلام فسحقا له وبُعدا...نافق الدولة لا بل وافقهم وكان ملازما للمعز أبي تميم منشئ القاهرة"[4].

---

[1] القاضي عياض، المدارك، ج8، ص59-60

[2] نفسه، ص62

[3] ابن العماد: **شذرات الذهب في أخبار من ذهب**، تحقيق محمود الارناؤوط، دار ابن كثير، ط1، بيروت، 1986م، ج4، ص338

[4] الذهبي، المصدر السابق، ج16، ص150

2-أبو بكر القمودي: كان متمكنا بوجوه الكلام عارفا بأبواب المناقضة متدربا في صنعة المعارضة، كان من أصحاب سعيد بن الحداد وغيره من وجوه العلماء يقال إنه ناظر أبا العباس الشيعي مناظرة أخرسه فيها مما جعل أبو عبد الله الشيعي يتدخل بتحريك اصبعه له قائلا: "وإنك لتظهر لأهل البيت ما أرى منك البغضاء، وتنصب في توهين أمرك ما أسمع من حجاجك"، فاضطر للاعتذار منه مخافة ان يسفك دمه[1]، فكان من بين الذين تشرقوا[2].

3-علي بن منصور الصفّار: هو من أصحاب سعيد بن الحداد، يجيد الجدل ومعاني الفقه ويتكلم فيهما كلاما له شأن كبير، اضطرته ظروف الحياة ومنها الفقر وحب المجد والعظمة إلى أن تشرق، وأراد أن يتوارى له ذلك عن العامة والجماعة، لكنّ الله أبى عليه ذلك، تولى قضاء ميلة وبها تزوج وأنجب الأولاد[3].

4-ربيع بن سليمان بن سالم: وهو المعروف بابن الكحّالة كان يتحلى بانقباض وعدالة وخير، تشرق بسبب غلام شيعي كان قد ألفه وأُبتلي به[4]، وأبوه هو سليمان بن سالم من رجال سحنون حيث سمع منه ومن زيد بن بشر وغيرهم من علماء افريقية وكان قاضيا على صقلية في أيام إبراهيم بن أحمد[5].

5-محمد بن حيّان: هو شيخ مُسن مستقر بسوسة وصاحب صلاتها، كان على مذهب الامام مالك، صَحب ابن سحنون ثم تشرّق وكان على ذلك مستترا[6].

---

[1] محمد بن حارث بن أسد الخشني: **قضاة قرطبة وعلماء افريقية**، صححه عزت العطار الحسني، مكتبة الخانجي بالقاهرة، ط2، مصر، 1994م، ص280

[2] نفسه، ص291

[3] الخشني، القضاة، ص283

[4] نفسه، ص292

[5] الخشني، الطبقات، ص26

[6] الخشني: القضاة، ص291

الفصل الثالث: أساليب مقاومة فقهاء المالكية للوجود الفاطمي ببلاد المغرب

المبحث الأول: المقاومة الصامتة وأساليب شبيهة بها

أولا: المقاومة الصامتة

ثانيا: أساليب شبيهة بالمقاومة الصامتة

المبحث الثاني: المقاومة العلمية والجدلية

أولا: المقاومة العلمية

أولا: المقاومة الجدلية

المبحث الثالث: المقاومة المسلحة

أولا–تبني المقاومة المسلحة

ثانيا–الفتاوى الداعية لجهاد الشيعة

ثالثا–أسباب خروج فقهاء المالكية مع أبي يزيد

رابعا–مجريات المقاومة المسلحة

المبحث الأول: المقاومة الصامتة وأساليب شبيهة بها

تمثلت المقاومة الصامتة التي انتهجها علماء وفقهاء المالكية ضد الوجود الفاطمي وسياستهم الرامية للقضاء على المذهب السني واحكام السيطرة للمذهب الشيعي الاسماعيلي في بلاد المغرب الإسلامي فيما يلي:

أولا: المقاومة الصامتة

1-الهروب والاختفاء عن أعين بني عبيد

اختار العديد من فقهاء المالكية بالمغرب الإسلامي العزلة والاختفاء عن أعين بني عبيد بل حتى الهروب وتغيير محل الإقامة حتى لا يدركهم ما يبغضون من بني عبيد، الذين عملوا بكل ما اوتوا من قوة على ارغام الناس لاعتناق مذهبهم الشيعي الاسماعيلي وألحقوا الأذى بمن يخالفهم في ذلك[1]، ومن بين الفقهاء الذين ذكرناهم سابقا أبو محمد يونس بن محمد الورداني الذي اختار العزلة وفضل رعي البقر على مواجهة ما يكره من العبيديين، فكان ينصرف من بيته من طلوع الصبح إلى غاية غروب الشمس وحلول الظلام، وبقي على هذه الحالة إلى ان توفاه الله، ومن بينهم كذلك عمر بن عبد الله بن يزيد الصدفي الذي فرّ إلى المنستير بعد دخول بني عبيد ومن المنستير إلى سوسة وكان يتستر في زي التجار حتى لا يتعرف الناس عليه، وكذلك فعل ابن الحزاز المليلي الذي توجه إلى قرطبة واستقر بها خوفا من جنود الفاطميين بعد ان أكرمه أميرها هناك[2].

2-صمود الفقهاء وتحملهم لأذى بني عبيد

عمل فقهاء المالكية على الوقوف في وجه السياسة القمعية للدولة الفاطمية التي يهدفون من خلالها إلى التمكين لمذهبهم وحمل الناس على اتباعه، فجابههم الفقهاء وتصدوا لكل أنواع الأذى والسجن والقتل بل وساهموا في شد أزر عوام المسلمين وكانوا سندا لهم للثبات على عقيدة أهل السنة[3]، ويذكر القاضي عياض عن الفقيه أبي جعفر أحمد بن نصر الداودي الأسدي بأنه لم يكن يرضيه بقاء العلماء والفقهاء بين أظهر الشيعة في القيروان وبأنه كتب إليهم بذلك، فأجابوه قائلين: " أسكت لا شيخ لك"، وهي دلالة على ان الشيخ المذكور لم يتفقّه علي يد امام معين، بل وصل إلى ما وصل اليه

---

[1] إبراهيم التهامي، المرجع السابق، ص324.

[2] المالكي، المصدر السابق، ج2، ص45-46

[3] علي محمد الصلابي: **الصراع بين أهل السنة والرافضة**، مكتبة الصحابة بالشارقة، ط1، الامارات، 2007م، ص77

بإدراكه وفطانته، وأشاروا إلى أنه لو كان للشيخ فقيه يفقّهه حقيقة الفقه لعَلم أهمية البقاء في أوساط عامة المسلمين ومساندهم في محنتهم لأن ذلك تثبيتا لهم على الإسلام وبقاءا صالحا للإيمان، وأنه لو خرج الفقهاء من افريقية لما بقي آلاف الألوف من العامة صامدون[1].

3-مقاطعة الفاطميين

قاطع أهل القيروان جميع مؤسسات حكومة الدولة الفاطمية، فلا يلجؤون لفك خصوماتهم عند قضاتهم، ولا يصلّون وراء أئمتهم، ولا يقفون إلى جانبهم في أفراحهم وأقراحهم، ولا يتزوجون منهم ولا يتوارثون معهم، بل ولا يصلون حتى على موتاهم، وكان بعض العلماء ينوون صلاة الجمعة في عهدهم فيغتسلون ويتطيبون ويلبسون أحسن الثياب ويتوجهون إلى المساجد حتى إذا وصلوا اليها يرفعون ابصارهم إلى عنان السماء ويشهدون الله ثم يعودون من حيث أتوا، فتضايق العبيديون من هذه السياسة الصامتة التي كان وقعها شديد عليهم مما اضطرهم للانتقال إلى المهدية في بادئ أمرهم ثم التوجه إلى مصر فيما بعد[2].

ويخبرنا المالكي بأن جبلة بن حمود لما حضر أول خطبة جمعة لبني عبيد في جامع القيروان، جلس عند المنبر وهو يستمع إلى خطبتهم، ولما بلغه ما لا يجوز منهم، قام كاشفا عن رأسه أمام جميع المصلين وهو يمشي من المنبر إلى آخر باب المسجد ويقول: "قطعوها قطعهم الله"، فكان هو أول من نبّه على ذلك، ومن يومها ترك العلماء حضور جمعة بني عبيد[3].

كما قاطع فقهاء المالكية كل من دخل في دائرة السلطان بغرض دعمه أو الدفاع عنه أو الدعوة له وتبرير وجوده عملا بقول الله تعالى: ﴿لا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أو أَبْنَاءَهُمْ أو إِخْوَانَهُمْ أو عَشِيرَتَهُمْ ۚ أُولَٰئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ۖ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ۚ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ۚ أُولَٰئِكَ حِزْبُ اللَّهِ ۚ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾[المجادلة: 22]، ومن أمثال هؤلاء أبو القاسم البراذعي لصلته الوثيقة ببني عبيد ولتأليفه كتاب في تصحيح نسبهم، لذلك قاطعوه وأفتوا بترك كتبه وعدم

[1] القاضي عيّاض، المدارك، ج7، ص103

[2] الحسين بن محمد شواط: **مدرسة الحديث في القيروان من الفتح الإسلامي إلى منتصف القرن الخامس الهجري**، الدار العالمية للكتاب الإسلامي، ط1، الرياض، 1411هـ، ج1، ص78

[3] المالكي، المصدر السابق، ج2، ص42-43

قراءتها مما اضطره إلى الانتقال إلى صقلية، وهذا إبراهيم بن حسن بن إسحاق القيرواني كذلك والذي انكر عليه فقهاء المغرب فتواه في تقسيم الشيعة وطالبوه بإعادة النظر فيها[1]، وكان سعيد بن الحداد يقول عن مالك بن عيسى القفصي: " لو علمت أن يقظة مالك بن عيسى أنبه من نومي لأزريت على نفسي"، سبب ذلك يعود لامتحانه بوظيفة مع العبيديين[2].

4-الدعاء على الفاطميين

من العلماء والفقهاء من ركّز على الدعاء ضد بني عبيد مثلما فعل الواعظ عبد الصمد، وكما كان يقول أبو إسحاق إبراهيم بن أحمد السبائي عندما يهُم برقية أحد بعد قراءة الفاتحة وسورة الإخلاص والمعوذتين: "ببغضي في عبيد الله وذريته، وحبي في نبيك وأصحابه وأهل بيته، اشف كل من رقيته"[3]، ومثلما دعا الامام أحمد بن محمد بن أبي الوليد من على منبره في خطبة الجمعة: " اللهم ان هذا القرمطي المعروف بابن عبيد الله المدعي الربوبية من دون الله، جاحدا لنعمك، كافرا بربوبيتك، طاعنا على أنبيائك ورسلك، مكذبا لمحمد صلى الله عليه وسلم نبيك وخيرتك من خلقك، سابا لأصحاب نبيك وأزواج نبيك، أمهات المؤمنين، سافكا لدماء أمته، منتهكا لمحارم أهل ملته، افتراءا عليك واغترارا بحلمك، اللهم فالعنه لعنا وبيلا، واخزه خزيا طويلا، واغضب عليه بكرة وأصيلا، واصله جهنم وساءت مصيرا، بعد أن تجعله في دنياه عبرة للسائلين، وأحاديث في الغابرين، وأهلك اللهم شيعته وشتت كلمته، وفرق جماعته، واكسر شوكته، واشف صدور قوم مؤمنين"[4].

ثانيا: أساليب شبيهة بالمقاومة الصامتة

1-مخالفة الشيعة في حزنهم بيوم عاشوراء

من المعلوم أن يوم عاشوراء هو اليوم الذي فُجعت فيه الأمة الإسلامية بمقتل الحسين بن علي رضي الله عنهما، وهو أحد سبطي الرسول، وسيد شباب أهل الجنة، فيتخذه الشيعة بمختلف فرقهم يوم حزن وحداد، وما يصاحب ذلك من عادات اللطم والصراخ والبكاء والعطش وسب السلف الصالح

[1] إبراهيم التهامي، المرجع السابق، ص324-325

[2] شواط، المرجع السابق، ج1، ص79

[3] إبراهيم التهامي، المرجع السابق، ص324

[4] الصلّابي، الصراع، ص78-79

ولعنهم، وقراءة أخبار مقتل الحسين التي كثير منها كذب[1]، أما عند السنة فهو يوم صامه النبي عليه الصلاة والسلام وندب المسلمين لصيامه واحتسب على الله ان يكفّر السنة التي قبله، لكن السنّة زادوا على ذلك في التوسعة على العيال والاغتسال والاكتحال وغير ذلك من الأفعال التي تعتبر هذا اليوم يوم عيد، وذلك بالاستناد إلى أحاديث مطعون فيها من كثير من العلماء[2].

ولعل علماء المغرب كانوا من الصنف الذي يعتقد بصحة هذه الأحاديث وبالتالي كانوا يتحينون قدوم هذا اليوم لإبداء الفرح والسرور فيه نكاية في الشيعة وتنغيصا لهم، ومنهم من يدعو إلى ضرورة الاحتفاء به مثل الامام عبد الملك بن حبيب (ت238) كبير فقهاء قرطبة الذي يدعو الأمير الأموي عبد الرحمان الأوسط إلى ذلك في هذه الأبيات الشعرية:

لا تنس –لا ينسك الرحمان–عاشورا***واذكره، لازلت في التاريخ مذكورا

قال النبي صلاة الله تشملـــــــــــه***قولا وجدنا عليه الحق والنـــــورا

فيمن يوسع في الانفاق موسمـــــــه***ألا يزال بذلك العام ميســـــورا[3]

2–حضور المجالس المحضورة من طرف الشيعة: من هذه المجالس (مسجد السبت) التي كان يحضرها المتصوفة لإقامة حلقات القرآن والذكر وانشاد الرقائق[4]، وكانت تؤرق الشيعة وتقض مضاجعهم خشية تأليب الناس عليهم، لذلك كان بعض الفقهاء يحضرها مثل الفقيه أبو بكر محمد بن اللباد، وعندما سألوه عن سبب حضوره لهذا الاجتماع، بالرغم من أنه من البدع المنكرة التي أنكرها الكثير من العلماء، فأجاب بقوله تعالى:﴿ وَلَا يَطَئُونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ الْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَّيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُم بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ ۚ إِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾[التوبة: 120]، وأردف قائلا ما في مضمونه بأن حضور هذه المجالس يغيظ بني عبيد لذلك أفعل[5].

---

[1] ابن تيمية، المصدر السابق، ج4، ص554

[2] إبراهيم التهامي: المرجع السابق، ص343

[3] أحمد بن محمد المقري التلمساني: **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب**، تحقيق احسان عباس، دار صادر بيروت،1988م، لبنان، ج2، ص6

[4] **الرقائق**: انشاد شعر بني معدان في الزهد وقراءة آيات من القرآن وحكايات، وهي من عادات التصوف، الدبّاغ، المصدر السابق، ج3، ص24

[5] نفسه، ص24

المبحث الثاني: المقاومة العلمية والجدلية

أولا: المقاومة العلمية

1-تحصين السكان بالفتاوى

عمل فقهاء القيروان على تحصين السكان بالفتاوى التي تكفر بني عبيد وتعتبرهم بأنهم ليسوا من أهل القبلة، وبالتالي إجازة التصدي لهم ومواجهتهم كما فعل الشيخ أبو إسحاق السبائي، حتى أصبحت هذه الفتاوى سدا منيعا في وجه كل محاولات التشيع، ووصل الأمر إلى حد تكفير كل من دخل في دعوة الشيعة برضاه وكل من دعا لهم، ولم يعذروا حتى المكره وقالوا يختار القتل والموت أهون له من أن ينتمي إليهم، فانتشرت فتاويهم بين الناس وأصبحت معروفة لدى الخاص والعام[1].

2-فتح بيوت الفقهاء لنشر الوعي

حمل علماء السنة ومنهم فقهاء المالكية على عاتقهم مسؤولية تنوير عامة الناس خاصة بعد منعهم من التحديث والاقراء في المساجد، فعملوا على كشف حقيقة العبيديين، وفضح معتقداتهم الباطلة حتى يتجنبها الناس متخذين من بيوتهم ملتقيات للطلبة حتى أبحت كالمساجد من كثرة ما يؤمها الطلبة، ومن بين هؤلاء الفقهاء نجد أبي إسحاق السبائي الذي كان يقول لأصحابه: "افتحوا باب داري نأخذ في ذمهم والتحذير منهم"، فكان بيته مركزا لنشاطه التوعوي، حيث تميز مجلسه بالإكثار من ذكر فضائل الصحابة رضوان الله عليهم والثناء عليهم لانتشار أمر العبيديين، كما كان أبو حسن الدباغ يُسمع في داره وكان يقول هو الآخر: "تمادوا عن الآذان على سنته في أنفسكم فاذا فرغتم فقولوا حي على خير العمل، فإنما أراد بنو عبيد خلاء المساجد"[2]، كما كان الفقيه أحمد بن نصر الهواري يجتمع مع طلبته في بيته بعد أن منعه العبيديون من التدريس في مسجد رحبة القرشيين والافتاء بمذهب الامام مالك، حيث سجن بالمهدية لأجل ذلك[3].

---

[1] شواط: المرجع السابق، ج1، ص78

[2] الصلّابي، الصراع، ص80، شواط: المرجع السابق، ج1، ص79

[3] الدبّاغ، المصدر السابق، ج3، ص8

3-اجتهاد الفقهاء وغرسهم لمنهج أهل السنة

تفطن فقهاء المالكية إلى ضرورة قطع الطريق أما العبيديين وجهودهم في نشر التشيع بين أوساط سكان بلاد المغرب الإسلامي، فعملوا على غرس مذهب أهل السنة في المجتمع، من خلال تعليم الأطفال وحملهم على هذا المنهج وغرسه في نفوسهم، مثل ما قام به الفقيه أبو إسحاق الجبنياني وغيره، والذي كان يعلم أبناء حملة الدعوة العبيدية من الكتاميين مجانا، من دون أن يأخذ عليهم أجر لترغيبهم على الاقبال عليه، فكان يعلمهم القرآن والسنة ولا يعلمهم الكتابة على حد قوله: " ليس يضرّون الناس بالقرآن، وانما يضرّونهم بالأقلام"، وكان لهذه الطريقة نتائج جد إيجابية لأنها زادت من صلة صبية كتامة بالإسلام والسنة[1].

4-حركة التأليف المضادة للفاطميين

قاوم الفقهاء الوجود الفاطمي ببلاد المغرب الإسلامي بالتأليف أيضا، الذي كان له الأثر الطيب في مجابهة الفاطميين من جهة، وتبصير عامة الناس بالحق الذي يجب أن يُتّبع من جهة أخرى، هذا ويمكن تقسيم المؤلفات من حيث محتواها إلى نوعين وهما:

أ-المؤلفات التي تتناول مسائل العقيدة وفق منهج اهل السنة والجماعة، ومن بين القضايا التي أسالت كثير من حبر الفقهاء مسألة الامامة عند أهل السنة، وأفضلية الخلفاء وهم أبو بكر وعمر وعثمان على علي رضي الله عليهم أجمعين، وشرعية خلافة الخلفاء الثلاثة الذين حكموا قبل علي، وحب أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، وعدم التفريق بينهم خلافا للشيعة الذين يكفرونهم ويفسقونهم، عدا عدد قليل منهم[2].

فكان للتأليف في هذا المجال الدور الكبير في نشر الوعي وتبصير الناس بدينهم ونشر المذهب الحق فيهم، حتى زال اللبس عن الناس وأصبحوا على دراية كاملة بعواقب كل من خالف هذه العقيدة وعلى رأسها مخالفة الإسلام والخروج عن الملة، وبالتالي يجب فيه كل ما يجب في الكافر من المقاطعة والمعاداة والقتال إلى حين الرجوع إلى دين الحق وإعلان التوبة[3].

---

[1] شواط: المرجع السابق، ج1، ص80، الصلابي، الصراع، ص80

[2] إبراهيم التهامي: المرجع السابق، ص348

[3] نفسه، ص348-349

ب-المؤلّفات التي ألّفها الفُقهاء للرد على مزاعم الشيعة وعلى معتقداتهم الباطلة، وهو أمر رآه فقهاء المالكية واجب عليهم لتفنيد ادعاءات العبيديين ودحض أباطيلهم، ومن جهة أخرى إزالة اللبس على عامة الناس حتى لا يصعُب عليهم أمر دينهم، ومن بين هذه المؤلفات على سبيل المثال لا الحصر، كتابي (الامامة) و(الرد على الرافضة) للإمام إبراهيم بن عبد الله الزبيري اللذان كانا سببا في محنته وسجنه وضربه من طرف العبيديين، فكان لهذا النوع وقع كبير على الشيعة وهو أشد وأنكى من النوع الأول[1].

إضافة إلى تأليف الكتب، لم يتخلف شعراء أهل السنة عن دورهم في الدفاع عن الإسلام ومذهب أهل السنة والجماعة، فراحوا يهاجمون بني عبيد بقوافي وأسجاع كان وقعها أشد من السيوف القواطع، واستحوذ على مركز الصدارة الشاعر أبو القاسم الفزاري ولعل من أشهر ما قال رائيته المشهورة التي جابت الدور والبلدان آنذاك:

عجبت لفتنة أعمت وعمـــت***يقوم بها دعي أو كفـور
تزلزلت المدائن والبـــــــوادي***لها وتلونت منها الدهور
وضاقت كل أرض ذات عرض***ولم تغن المعاقل والقصور
فنجى القيروان وساكنيهـــــا***إله دافع عنها قـــــديم
أحاط بأهلها علما وخُبـــــرا***وميزا ما أكنته الصـدور
وجللهم بعافية وأمـــــــــــن***وأسبل فوقها ستر ستيـر
وأثبت جلة العلماء فيهـــــا***بحار لا تعد لا بحـــــور[2]

وللشاعر سهل الوراق قصائد كذلك في هجو وذم الشيعة ووصفهم بالكفر والظلم منها هذه الأبيات التي تبين ادعائهم للنبوة:

غضب الاله على نبي لم يـــــزل***حيران مهموما أخا سكـرات

[1] إبراهيم التهامي، المرجع السابق، ص349
[2] الصلابي، الصراع، ص86-87

منهمكا في خمره وسماعـــــــــه***مترددا في الغي والشبهـــات

يا ابن الاراذل والمجوس أيا ابن من***هتك الفروج وضيع الصلوات[1]

ويقول فيما انتشر في البلاد من ظلم وجور بسببهم ما يلي:

فلقد كسا طول البلاد وعرضها***من جوركم ما فاق كل صفات

قوم اساءتهم اليك بقدر مـــا***أحسنت، لا بل مثله مـــرات

ما قص في التنزيل سوءة أمـــة***الا وفيهم ضعفها ســـــوءات[2]

وهذه مجموعة من الأبيات لشاعر مجهول يهجو فيها العبيديين ولعله أخفى اسمه حتى يسلم من ملاحقتهم وبطشهم:

الماكر الغادر الغاوي لشيعتـــه***شرّ الزناديق من صحب وتبـاع

الناكثين عهود الله كلهـــــــم***قوم إلى سفه في الناس أوضـــاع

العابدين إذا عجل يخاطبهـــم***بسحر هاروت من كفر وتبداع

لو قيل للروم أنتم مثلهم لبكوا***أو اليهود لسدوا صمخ أسمـــاع

ولو عزينا إلى ابليس ما مكروا***لقال ابليس ما هذا من اطباعي[3]

ثانيا: المقاومة الجدلية

كانت هذه المقاومة أقوى وأشرس المقاومات التي قام بها فقهاء المالكية ضد الشيعة المنحرفين، وتمثلت أساسا في المناظرات والمساجلات التي ذاع فيها صيت الكثير من الفقهاء والعلماء الذين كانوا لسان أهل السنة الناطق أمثال ابن البردون (ت299هـ) الذي كان قوي الحجة في الجدل، ومحمد الرقادي القيرواني (ت416هـ) الذي شهدت له المواقف في الدفاع عن أهل السنة، وممن سطع نجمهم أكثر عبد الله بن التبان (ت371هـ) الذي ضُربت اليه أكباد الإبل من مختلف الأمصار لغزارة علمه و

[1] إبراهيم التهامي: المرجع السابق، ص351

[2] نفسه، ص351

[3] المالكي، المصدر السابق، ج2، ص346

مواقفه الجريئة في الذود عن مذهب اهل السنة والجماعة[1]، ومن بين المواقف التي حفظها لنا التاريخ ورددتها لنا المصادر أنه كان في يوم عاشوراء مع جماعة من أصحابه فلما رأى جمع من بني عبيد بكى، فقيل: ما يبكيك؟، فقال: "والله ما أخشى عليهم الذنوب، لأن مولاهم كريم، وانما أخشى عليهم أن يشكّوا في كفر بني عبيد فيدخلوا النار"[2]، ويذكر لنا الدباغ في المعالم احدى مناظرات ابن التبان للعبيديين حول أفضلية عائشة أم فاطمة؟، فقيل له: أيهما أفضل فاطمة أم عائشة رضي الله عنهما؟، فقال: "عائشة وسائر أزواج النبي أفضل من فاطمة"، فسألوه عن حجته فقال قال الله تعالى: ﴿يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ النِّسَاءِ﴾[الاحزاب: 32]، فقام اليه بعض الدعاة فقالوا له: " ايما أفضل، امرأة أبوها رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأمها خديجة الكبرى وزوجها علي بن أبي طالب ابن عم الرسول وولداها الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة أو امرأة أمها رومان وأبوها عبد الله بن أبي قحافة؟"، فقال ابن التبان: "أيما أفضل عندك، امرأة إذا طلقها زوجها أو مات عنها تزوجت عشرين زوجا، أو امرأة إذا مات عنها زوجها أو طلقها لم تحل لمسلم؟"، فسكت[3]، وقيل عنه أنه قدم لهم الإجابة على تساؤلهم على عشرة أوجه، الأول كما أوردنا والثاني أن عائشة رضي الله عنها مع النبي صلى الله عليه وسلم في درجته، وفاطمة مع علي بن أبي طالب في درجته، ودرجة علي لا تساوي درجة النبي صلى الله عليه وسلم، وهكذا إلى أن اتم عليهم سرد بقية الأجوبة[4] وهو الامر الذي يدل على فطانته وذكائه وغزارة علمه.

ومن بين الذين ذاع صيتهم في المناظرة والمقاومة الجدلية لبني عبيد، عمرو بن هارون الوراق(ت379هـ) الذي كان فارسا في هذا الميدان وأبلى فيه البلاء الحسن، الا أن البطل الفذ في هذا المجال الذي كان لسانه سيفا حادا أخرس به المنحرفين من بني عبيد هو الامام أبو عثمان سعيد بن الحداد (ت302هـ) الذي قال عنه الخشني في طبقاته: "كانت لأبي عثمان مقامات كريمة ومواقف محمودة في الدفع عن الإسلام والذب عن السنة ناظر فيها أبا العباس المخدوم اخا عبد الله الشيعي

[1] إبراهيم التهامي: المرجع السابق، ص325-326

[2] الدباغ: المصدر السابق، ج3، ص91

[3] نفسه، ص92-93

[4] نفسه، ص93

الصنعاني بملء فمه، ومنى نفسه، مناظرة القرن المساوي، بل مناظرة المتعزز المتعالي، لم يتلعثم لفظاعة المقام، ولا احجم لهيبة السلطان، ولا خاف ما خيف عليه من سطوة الحدثان"[1].

دعا الواجب والإمكانيات التي يمتلكها هذا الفقيه إلى مناظرة الشيعة وإقامة الحجة عليهم في مخالفتهم للنصوص الشرعية فعقدت بينه وبينهم عدة مناظرات والتي يمكن تقسيمها إلى قسمين فالأول هي عبارة عن مجالس عامة يشترك فيها مجموعة من علماء السنة على اختلاف مذاهبهم، والقسم الثاني هي مجالس خاصة يحضرها رجل واحد من أهل السنة يقابله آخر من أهل الشيعة وتمثلت هذه الأخيرة في مناظرات الامام ابن الحداد مع أبو العباس أو أخيه أبو عبد الله الشيعي من جانب الشيعة، وهي متداولة في العديد من المصادر نذكر منها المالكي في رياض النفوس، والخشني في طبقاته ومنها ما يلي[2]:

1-مناظرة حول خاتم النبيين محمد صلى الله عليه وسلم: حيث قال أبو عبد الله الشيعي: "بأن القرآن لم خبرنا بأن محمد صلى الله عليه وسلم هو آخر الأنبياء"، فقال له سعيد: "وفي أي موضع ذلك؟" فأجابه : في قوله تعالى ﴿ وَلَٰكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ ﴾[الاحزاب: 40]، فخاتم النبيّين ليس هو رسول الله ، فأجابه سعيد : بأن هذه الواو ليست من واوات الإبتداء وإنّما هي من واوات العطف، كقوله تعالى ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾[الحديد: 3]، فهل من المعقول أن يكون هناك مخلوق يوصف بهذه الصفات من غير الله تعالى؟، وتكلّم عنده يوما ، فغضب من كلامه رجل من كتامة يعرف بأبي موسى شيخ المشايخ، وقام إليه بالرمح، فمنعه أبو عبد الله من ذلك ، ثمّ عطف إلى أبي عثمان فقال له: يا شيخ لا تغضب، إذا غضب هذا الشيخ غضب لغضبه اثنا عشر ألف سيف، فقال له أبو عثمان: لكني أنا يغضب لغضبي الله الواحد القهار الذي أهلك عادا وثمودا وأصحاب الرس[3].

2-مناظرة حول موالاة علي رضي الله عنه: حيث أراد عبيد الله المهدي في هذه المناظرة أن يثبت وجوب موالاة الناس لهم أي يكونون عبيدا لهم باعتبارهم شيعة علي، وذلك بالاعتماد على قول

[1] الخشني: الطبقات، ص199

[2] إبراهيم التهامي: المرجع السابق، ص328-329

[3] المالكي: رياض النفوس، ج2، ص62-63

الرسول صلى الله عليه وسلم: «من كنت مولاه فعلي مولاه»[1]، حيث قال المهدي: "ما بال الناس لا يكونون عبيدا لنا؟"، فرد عليه ابن الحداد بأن المقصود ولاية الدين وليس ولاية الرق، وأثبت له ذلك بقوله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِّي مِن دُونِ اللَّهِ وَلَٰكِن كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ (79) وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا ۗ أَيَأْمُرُكُم بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾[آل عمران: 79-80]، والأمر الذي لم يجعله الله لنبي لم يجعله لغير نبي، وعلي ليس بنبي[2].

3-مناظرة حول صلاة التراويح في شهر رمضان: ومن خلالها يريد الشيعة أن يقنعوا أهل السنة أن صلاة التراويح بدعة ابتدعها عمر بن الخطاب رضي الله عنه، والرسول صلى الله عليه وسلم يقول: «إن كل بدعة ضلالة»[3]، ومن أجل ذلك جمع قاضي الشيعة عبد الله بن عمر المروذي أهل السنة وأعلمهم بأنه يريد مناظرتهم حول صلاة التراويح فمن كانت حجته دامغة يعود إلى صاحبه، فقال له أبو عثمان سعيد ابن الحداد: " وما حاجتك إلى المناظرة؟"، فرد عليه وقال: "لا بد منها"، فقال له ابن الحداد: "شأنك وما تريد"، فقال المروذي: "ألستم تعلمون وتروون أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يقم الا ليلة واحدة، وأن عمر بن الخطاب هو الذي استن القيام؟"، فقال سعيد ابن الحداد: "هذه البدعة من البدع التي يرضاها الله عز وجل ويذم من تركها"، فقال المروذي: "وأين تجد ذلك في كتاب الله عز وجل؟"، فقال ابن الحداد في قوله تعالى: ﴿ وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ

---

[1] الترمذي، المصدر السابق، ج5، ص56، وجاء في اللفظ، حدثنا محمد بن بشار، قال: حدثنا محمد بن جعفر، قال: حدثنا شعبة، عن سلمة بن كهيل قال: سمعن أبا الطفيل يحدث عن أبي سريحة –أو: زيد بن أزقم، شكّ شعبة–عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «من كنت مولاه فعلي مولاه».

[2] المالكي: المصدر السابق، ج2، ص84، إبراهيم التهامي: المرجع السابق، ص331

[3] روى هذا الحديث جمع من الأئمة بإسناد صحيح، منهم الإمام أحمد في مسنده، فقد روى بسنده قال: حدثنا الضحاك بن مخلد عن ثور عن خالد بن معدان عن عبد الرحمن بن عمرو السلمي عن عرباض بن سارية رضي الله عنه قال :صلى لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم الفجر، ثم أقبل علينا فوعظنا موعظة بليغة ذرفت لها الأعين، ووجلت منها القلوب، قلنا أو قالوا: يا رسول الله، كأن هذه موعظة مودع فأوصنا، قال: أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة، وإن كان عبداً حبشياً، فإنه من يعش يرى من بعدي اختلافاً كثيراً، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين، وعضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل محدثة بدعة وإن كل بدعة ضلالة .ورواه أيضاً أبو داود وابن ماجه وصححه شعيب الأرناؤوط وبعضه في صحيح مسلم، حديث "فإن كل محدثة بدعة..." صحيح، **إسلام ويب**، https://www.islamweb.net/ar/fatwa/22422/، 26-25-2022، سا 20:45

رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا﴾[الحديد: 27]، ولذلك نحن نحافظ على هذه البدعة الحميدة التي تعتبر رهبانية حتى لا يذمنا الله تعالى كما ذمهم[1].

[1] إبراهيم التهامي: المرجع السابق، ص332-333

المبحث الثالث: المقاومة المسلحة

أولا–تبني المقاومة المسلحة: إصرار فقهاء المالكية على مجابهة الفاطميين تفسره مختلف المقاومات التي انتهجوها والتي ذكرناها من قبل، بالإضافة إلى المقاومة المسلحة وحملهم السلاح وخروجهم للقتال مثلما قام به الفقيه جبلة بن حمود الصدفي الذي قال: "جهاد هؤلاء أفضل من جهاد أهل الشرك"، واخذ الحجة من قوله تعالى:﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ﴾[التوبة: 123]،[1] لكن جبلة بن حمود لم يعش في حكم العبيديين الا سنة واحدة حيث توفي سنة 297هـ، لذلك بايع أهل القيروان وقبائل أخرى من افريقية أبا عبد الله السدري (ت309هـ) على جهاد بني عبيد الا ان أمره وصل إلى عبيد الله المهدي فأرسل في طلبه أين قبضوا عليه وعزموا على قتله[2]، ونظرا لمكانته الكبيرة بين الناس ودرجة عبادته وتقواه تجنب الجنود قتله واختلقوا الحجج والأعذار خشية الآثام والذنوب التي قد تطالهم جراء ذلك[3]، وفي الأخير لجأوا إلى رومي وسقوه خمرا حتى الثمالة وتمكن من قتله وذلك سنة 309هـ[4].

ثانيا–الفتاوى الداعية لجهاد الشيعة: ومما ساعد في تبني المقاومة المسلحة وتفضيلها كوسيلة تمكّن من وضع حد للعبيديين، الفتاوى التي تنص على وجوب قتالهم، والتي صدرت بعد اجتماع وتشاور بين الفقهاء السنة، منهم أبو سليمان ربيع بن سليمان المعروف بربيع القطان (ت333هـ)، ومحمد بن تميم المعروف بأبي العرب (ت356هـ)، وأبو عبد الملك مروان بن نصر الخياط الزاهد (ت340)، وأبو محمد عبد الله بن فطيس (ت339هـ)، وغيرهم كثير من المجتمعين، تحت رئاسة ومرجعية أبي الفضل عباس بن عيسى الممسي (ت333هـ)، حيث دار النقاش والحوار حول شرعية الخروج مع الثائر في وجه الفاطميين أبي زيد مخلد بن كيداد المعروف بصاحب الحمار، الذي كان يبطن الصفرية من مذهب الخوارج وكان يدّعي بأنه سنّي، والذي أوشك في تلك الأثناء للسيطرة على البلاد وكان قد استنفر الناس لجهاد بني عبيد، فخرجوا من هذا الاجتماع بوجود الاقبال على قتال العبيديين، وبالرغم من تردد بعض العلماء الذين لم يقتنعوا بما دار بينهم، الا انهم عدلوا عن رأيهم، وعلت أصوات التكبير

[1] إبراهيم التهامي: المرجع السابق، ص337

[2] شواط: المرجع السابق، ج1، ص81

[3] المالكي: المصدر السابق، ج2، ص170

[4] شواط: المرجع السابق، ج1، ص81

المسجد الذي احتضنهم بعد أن روى لهم أبو العرب حديثا في قتال الرافضة[1]، يقول فيه عليه الصلاة والسلام: «يكون في آخر الزمان قوم يقال لهم الرافضة فاذا أدركتموهم فاقتلوهم انهم كفار»[2].

وهكذا لم يجد العلماء من سبيل أمامهم الا مباركة الخروج مع أبي يزيد وتأييده، فبدأوا في حشد العامة وتشجيعهم على الخروج لقتال العبيديين، واتخذوا من المساجد مراكزا لبث دعوتهم وتهيئة النفوس، فاتسعت دائرة الخارجين، وأقبل العلماء لقتال الشيعة رافعين الألوية والرايات، فكان على كل لواء عبارة يظهر فيها العداء الشديد للشيعة منها: (لا اله الا الله محمد رسول الله، لا حكم الا لله وهو خير الحاكمين)، (بسم الله الرحمان الرحيم، لا اله الا الله محمد رسول الله)، (نصر من الله وفتح قريب على يد الشيخ أبي يزيد)، (اللهم أنصر وليك على من سب نبيك وأصحاب نبيك صلى الله عليه وسلم)[3].

ثالثا–أسباب خروج فقهاء المالكية مع أبي يزيد: تعود أسباب مشاركة فقهاء المالكية في ثورة أبي يزيد مخلد بن كيداد إلى ما يلي:

1–لانه أظهر للفقهاء والعُبّاد السنة الخير وترحّم على أبي بكر وعمر رضي الله عنهما ودعا الناس إلى جهاد الشيعة وأمر بقراءة مذهب الامام مالك، لذلك خرج الفقهاء والصلحاء في الأسواق بالصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم وعلى أصحابه وأزواجه الأطهار حتى وثبوا ألويتهم عند الجامع ولما كان يوم الجمعة اجتمعوا عند المسجد وركبوا مع أبي يزيد بالسلاح ومعهم البنود والطبول[4].

2–عداؤه الشديد للشيعة، حيث لما اجتمع الناس في المسجد، صعد المنبر وخطب خطبة أبلغ وأعلم الناس فيها ما لهم من الأجر والثواب في جهاد الشيعة، ثم لعن عبيد الله الشيعي وابنه ونزل من المنبر فخرج وتبعه الناس لقتال الشيعة[5].

---

[1] إبراهيم التهامي: المرجع السابق، ص338–339–340

[2] نقلا عن التهامي، المرجع السابق، ص340، ويقول إني لم أعثر على حديث بهذا اللفظ، والموجود هو عن علي رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «يظهر في آخر الزمان قوم يسمون الرافضة يرفضون الإسلام» رواه أحمد في مسنده (136/2–137) رقم الحديث 808، تحقيق أحمد شاكر.

[3] إبراهيم التهامي: المرجع السابق، ص340–341

[4] ابن عُذارى: المصدر السابق، ج1، ص217

[5] نفسه، ص217

3-نظرة علماء المغرب للشيعة والتي تعتبرهم كفرة يجب قتالهم، وفي نفس الوقت نظرتهم للخوارج بأنهم من أهل القبلة وهم أقل ضرر من الشيعة[1]، وكان الفقهاء يقولون: "ان ظفرنا بهم لم ندخل تحت طاعة أبي يزيد والله يسلط عليه اماما عادلا يخرجه عنّا"[2]، مما لا يدل على موالاتهم وطاعتهم لأبي يزيد وانما يدل على تقارب وجهات النظر فيما بينهما واعتبار الفاطميين عدو مشترك يجب ازالته.

رابعا-مجريات المقاومة المسلحة: بعد أن توفّرت الأسباب وتمّت الترتيبات خرج الفقهاء ومن ورائهم وجوه القوم وعامتهم بأعداد هائلة، ولم يتخلف منهم الا من توفرت فيه أسباب العجز والحرج، وكان على رأس الخارجين الفقيه ربيع القطان راكبا فرسه مرددا قوله: "الحمد لله الذي أحياني حتى أدركت عصبة من المؤمنين اجتمعوا لجهاد أعدائك وأعداء نبيك"[3].

وقد أظهر الفقهاء شجاعة لا مثيل لها، وأبلوا البلاء الحسن، وقدموا صورة مشرفة في ذود السلف الصالح وجهادهم لأعداء الإسلام، وتمكنوا بفضل الله تعالى من تحقيق نصر باهر كادوا من خلاله الاستيلاء على مدينة المهدية لولا يد الغدر التي طالتهم من طرف أبي يزيد الخارجي الذي أبان عن وجهه القبيح، وأوعز إلى أصحابه قائلا: " إذا التقيتم مع القوم، فانكشفوا عن أهل القيروان، حتى يتمكن أعداؤكم من قتلهم، فيكونوا هم الذين قتلوهم، لا نحن، فنستريح منهم"، فاستشهد ما لا يقل عن الثمانين عالما منهم ربيع القطان والممسي وغيرهم، وأراد أبو يزيد من فعلته هذه أن يتبرأ من قتلهم أمام الناس من جهة، وأن يخلو له الجو في القيروان فيتمكن من أتباع المشايخ وأئمة الدين ويوجههم إلى حيث يشاء، ففارقه الناس واشتد بغضهم له وقالوا عنه: "قتلَ أولياءَ الله شهداءَ"[4]، وما لبث أن اتاه الرد الإلهي بعد أن فارقه معظم جنده وانظموا إلى عدوه، وهُزم شرّ هزيمة حيث قُبض عليه حيا بعد أن أُثخن بالجراح وجيء به إلى المنصور بالمهدية في قفص حديدي فأمر بقتله، وصلبه، وأمر بسلخه وحشي جلده قطنا، وكان ذلك في محرم سنة 336هـ[5].

[1] إبراهيم التهامي: المرجع السابق، ص341

[2] شواط: المرجع السابق، ج1، ص82

[3] إبراهيم التهامي: المرجع السابق، ص343

[4] ابن عُذارى: المصدر السابق، ج1، ص218

[5] نفسه، ص220

الفصل الرابع: أهم نتائج الصراع بين فقهاء المالكية والفاطميين ببلاد المغرب الإسلامي

المبحث الأول: بناء المهدية ولجوء الفاطميين اليها

المبحث الثاني: انتقال الفاطميين إلى بلاد المشرق الإسلامي

المبحث الثالث: انتصار المذهب السني المالكي وتراجع المذهب الشيعي الإسماعيلي بالمغرب الاسلامي

المبحث الأول: بناء المهدية ولجوء الفاطميين اليها

وجد الفاطميون صعوبات كبيرة في بسط سيطرتهم على افريقية السنّية، حيث واجه الخليفة الفاطمي عُبيد الله المهدي مقاومة ومقاطعة وانكارا من أهل افريقية وفقهائها المالكية، الذين ثبّتوا أقدامهم بالقيروان وغيرها من مناطق افريقية، وجاهروه بإنكار مذهبه وحرّضوا الناس على ذلك فاتبعوهم، ووقفت افريقية برمتها موقف معارضة وعدم تعاون شديد الخطورة على كيان الدولة الناشئة، وبما أنه لا سبيل لفرض دولة على أناس يقاطعونها مقاطعة تامة ويعيشون في منأى عنها، فقد كان من الطبيعي أن يحرص الخليفة المهدي على الابتعاد عن رقادة والقيروان مركز المقاومة السنية، ويشرع في بناء وتشييد مدينة جديدة سماها بالمهدية[1].

أولا: التعريف بالمدينة: تنسب مدينة المهدية إلى عبيد الله المهدي الذي بناها على حسب ما ذُكر في التاريخ، بينها وبين القيروان ستون ميلا، يوجد أكثر من طريق مؤدي لها بعد الخروج من القيروان، وهي محاذية لمنطقة وادي الملح، المكان الذي وقعت فيه الواقعة بين الخارجي أبي يزيد وأبي القاسم، يحيط بها البحر من ثلاث جهات لذلك يُدخل اليها من الجانب الغربي، لها ربض كبير يعرف بزويلة فيه الأسواق والحمام والمساكن، وجميع بنيانها بالصخر، ولمدينتها بابا حديد لا خشب فيهما زنة كل باب ألف قنطار وطوله ثلاثون شبرا، وفي كل مسمار من مساميرها ستة أرطال وفي البابين صور الحيوان، وبالمهدية كذلك ثلاث مائة وستون من المواجل العظام من غير ما يجري فيها من قنوات المياه التي جلبها المهدي من قرية مجاورة[2]، ويقول البكري عن مرسى المهدية: " ومرساها منقور في حجر صلد يسع ثلاثين مركبا، على طرف المرسى برجان بينهما سلسلة من حديد فاذا أريد ادخال سفينة فيه أرسل حراس البرجين أحد طرفي السلسلة حتى تدخل السفينة ثم مدها كما كانت بعد ذلك لئلا تطرقها مراكب الروم"[3].

ثانيا: دوافع بناء مدينة المهدية: تظافرت جملة من العوامل التي جعلت المهدي يُقدم على بناء المهدية وعلى رأسها ارادته في جعلها مركزا جديدا للدعوة الإسماعيلية لمواجهة القيروان التي كانت ولا تزال قبلة السنّة وقلعة المالكية، بالإضافة إلى جعل القلب النابض للدولة الفاطمية مدينة ساحلية لها

---

[1] فؤاد السيد، المرجع السابق، ص124

[2] أبو عبيد البكري: **المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب**، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، د.س.ط، ص29

[3] نفسه، ص30

شأن كبير في العلاقات الخارجية البحرية سوآءا الاقتصادية والمبادلات التجارية منها، أو الجهادية البحرية على اعتبار أنّ السواحل هي مناطق ثغور أي جبهات قتال، ويُفهم من اختيار المكان الذي بُنيت فيه المهدية أنّ المهدي على علم وإطلاع واسعين بأحوال وظروف بلاد المغرب الإسلامي، ويعلم جيدا أن اعداؤه من البربر لن يخلدوا للراحة والسكينة، فتنبّأ بمجيء الوقت الذي سيحملون فيه لواء المعارضة، لذلك كان هدفه الأسمى من تشييده للمهدية هو تدعيم الوجود الفاطمي ببلاد المغرب وجعلها ملاذا يأوي اليه مع أهل بيته لاتقاء شر البربر المعاديين[1].

ثالثا: اكتمال بنائها ولجوء المهدي اليها: أختلف المؤرخون في تحديد السنة التي وضع فيها المهدي أساس مدينة المهدية فمنهم من يرجع ذلك إلى سنة 300هـ/912م مثل البكري وياقوت الحموي وابن عُذارى، ومنهم من يرجعه إلى سنة 303هـ/916م أمثال ابن الأثير وابن الأبّار والمقريزي وغيرهم، واكتمل سورها سنة 305هـ[2]، وانتقل اليها المهدي في شوال من سنة 308هـ/921م فسكنها[3] بعد أن انتهى من بناء قصور المدينة وسورها وبعض مساكن حاشيته[4].

ويبدو أنّ المهدي كان يفضّل اكمال كافة مرافق مدينته الجديدة ثم الرحيل اليها فيما بعد، لكن تهدّم المباني في رقادة والقيروان بسبب تساقط كميات كبيرة من الأمطار، اضطرّه للانتقال إلى المهدية بسرعة، وبهذه المناسبة امتدحه أحد شعراء افريقية بقوله:

قدوم فيه للدهر ابتسـام***بهمتك أيها الملك السهـــام

رعته بك الملائكة الكرام***حططت الرحيل في بلد كريم

وعندما اكتمل بناء المهدية وانتقل اليها قال: "اليوم آمنت على الفاطميات"[5] وفي ذلك إشارة لعدم احساسه بالأمان من قبل نتيجة مقاومة فقهاء المالكية بصفة خاصة والسنّة بصفة عامة الذين اتخذوا من رقادة والقيروان مستقرا لهم.

---

[1] عبد الحميد حسين حمودة: **تاريخ المغرب في العصر الإسلامي منذ الفتح وحتى قيام الدولة الفاطمية**، الدار الثقافية للنشر، ط1، القاهرة، 2006م، ص394-395

[2] نفسه، ص396

[3] ادريس عماد الدين: المصدر السابق، ص209

[4] حمودة، المرجع السابق، ص396

[5] نفسه، ص396

المبحث الثاني: انتقال الفاطميين إلى بلاد المشرق الإسلامي

أولا–اختيار وجهة الفاطميين: قام عبيد الله المهدي بإرسال قواده نواحي المغرب الأقصى، وأرادوا تثبيت أقداهم شمال المغرب الأقصى لكنهم لم يستطيعوا لأنّ الدولة الأموية بالأندلس تنبّهت لذلك فاتفقت مع أعيان زناتة وأمدتهم بالأموال حتى لا يستميلهم المهدي ويكون له ما يريد بين ظهرانيهم، ثم اتجهت أنظارهم فيما بعد إلى جنوب المغرب الأقصى، وشقّوا بجيوشهم نواحي السوس وأخذوا سجلماسة دون أن يظفروا بالمكان اللائق بدولتهم الذي يمكنهم من الاطمئنان فيه، انقضت أيام المهدي ومن بعده القائم ثم المنصور وجيوش الفاطميين تضرب في نواحي المغرب من غير جدوى، ثم التفتت إلى مصر في محاولة لدخولها لكن خابت مساعيها، ثم رزق الله الدولة بجوهر الصقلي الذي جرّب حظه هو الأخر في المغرب الأوسط والأقصى ثم عاد إلى افريقية واستقرّ به الأمر على أن الأمل الوحيد هو مصر، فجاءت الظروف في صالحه بقدوم الخليفة المعز لدين الله الفاطمي الذي وضع يده في يد جوهر وتمكنا من فتح مصر عام 358هـ وانتقلت اليها الدولة الفاطمية[1].

ثانيا–الانتقال إلى مصر: رحل جوهر الصقلي على رأس الجيش الفاطمي يوم السبت 14 ربيع الأول سنة 358هـ ليقوم بالمهمة المنوطة به وهي فتح مصر، فوصلها وتسلّمها يوم الثلاثاء 17 شعبان عام 358هـ من دون أية مقاومة حقيقية تذكر، ما عدا بعض الأحداث من طرف الفلول الكافورية والإخشيدية التي لا ترقى إلى أن نسميها مقاومة[2]، وقد وصف المفاوضون المصريون الذين تفاوضوا مع جوهر وكتب لهم الأمان وعاهدهم على ذلك بأنّ حجم جيشه "مثل جمع عرفات كثرة وعدة"[3].

وكان أول عمل قام به جوهر الصقلي بعد فتح مصر هو تخطيطه لمدينة جديدة بناءا على توجيهات الخليفة المعز حتى تكون عاصمة للإمبراطورية الجديدة التي تضم جميع أراضي العالم الإسلامي، وهي مدينة القاهرة التي تقع في الشمال الشرقي للفسطاط[4]، فكانت السنوات الأربع الأولى (358هـ–362هـ) التي حكم فيها القائد جوهر الصقلي مصر نيابة عن الخليفة المعز لدين الله الفاطمي من أهم فترات التاريخ الفاطمي في مصر حيث تمت فيها التغييرات المذهبية والإدارية اللّازمة

---

[1] مقدمة حسين مؤنس لكتاب أبي بكر المالكي: **رياض النفوس**، نشره حسين مؤنس، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1951م، ج1، ص18–19

[2] فؤاد السيد: المرجع السابق، ص139

[3] المقريزي، الاتعاظ، ج1، 107

[4] Fu ad sayyid: la capitale de l'Egypte jusqu'à l'époque fatimide (al qahira et al fustat). Essai de construction topographique. Beirut 1998 pp131

-لعل أبرزها ترك المذهب السني لأول مرة وذلك في يوم الجمعة 8جمادى الأولى سنة 359هـ/970م-التي عبّرت عن مظاهر انتقال السيادة للفاطميين ومهّدت لقدوم الخليفة المعزّ وانتقاله للشرق ليعلن مصر دار خلافة وليقود دولته المنتظرة هناك[1].

وعندما أصبحت الظروف مهيأة لاستقبال الخليفة المعز في القاهرة كتب اليه قائده جوهر الصقلي يدعوه للحضور إلى مصر حيث وصل إلى الإسكندرية لست بقين من شعبان سنة 362هـ وتوجه اليه من مصر القاضي والشهود والأعيان، واستقر بقصره في القاهرة يوم الثلاثاء السابع من شهر رمضان سنة 363هـ[2]، وبذلك قطع الفاطميون كل صلة لهم بافريقية ونقل المعزّ معه كل أمواله وذخائره وحتى توابيت أبائه، واستخلف على افريقية اسرة بربرية وهي "أسرة بني زيري" على رأسها يوسف بن بلكين الصنهاجي[3]، واستخلف على صقلية أسرة عربية تنتسب لقبيلة بني كلب، أما طرابلس فقد عهد بها إلى عبد الله بن يخلف الكُتامي، وهكذا تبدأ صفحة جديدة من التاريخ الفاطمي[4].

ثالثا-من أسباب انتقال الفاطميين إلى مصر: بالنسبة لرحيل الفاطميين من بلاد المغرب إلى بلاد المشرق وتحديدا إلى مصر عام 362هـ/973م في عهد المعز لدين الله الفاطمي، فيؤكد بعض الباحثين أنّ من بين أسباب هذا الانتقال مقاومة فقهاء المالكية للوجود الفاطمي في بلاد المغرب، حيث أسفرت المجالس والمساجلات عن هزيمة الشيعة بعد أن أُفحموا بالحجة والدليل من قبل فقهاء المالكية، ونتج عن هذا الوضع خروج عبيد الله المهدي وهو أبغض إلى أهل افريقية مما كان قبلها، وخرج أهل افريقية وهم أشدّ نفورا من الدعوة الشيعية وأكثر إستهانة بأمرها واستعدادا للانقلاب عليها وعلى أصحابها، فتأكّد في نفس عبيد الله المهدي أن مصير دولته في افريقية الفناء وأنه لابد عليه من البحث عن بلاد أخرى إذا ما أراد لها البقاء، اذ لا سبيل إلى فرض دولة على أناس يقاطعونها مقاطعة تامة ويعيشون بعيدا عنها، وهذا هو السبب الحقيقي في تفكير العبيديين في مغادرة افريقية[5]، ويدعُمُ هذا

---

[1] فؤاد السيد: المرجع السابق، ص124

[2] ابن حماد، المصدر السابق، ص88

[3] Idriss. Hady Roger :la berbèrie orientale sous les zirides Xe-XIIe siècles. Libraire d'Amérique et d'orient Paris 1962 i pp127-142

[4] فؤاد السيد: المرجع السابق، ص139

[5] الهنتاتي، المرجع السابق، ص170، قادة سبع: **الصراع المذهبي العقدي بالغرب الإسلامي، أسسه مجالاته وانعكاساته**، درجة البحث (دكتوراه)، تاريخ المغرب الإسلامي، اشراف د. بن معمر محمد، جامعة وهران، الجزائر، 2015م، ص241

الرأي ما أثر عن المعز لدين الله الفاطمي قوله: "وقد أبتلانا الله برعي الحمير الجهال، فإنا لم نزل نتلطّف في هدايتهم ومسايرة أحوالهم إلى أن يختم الله لنا بالحسنى والخروج من بين أظهرهم على أحمد حال"[1].

[1] القاضي النعمان، المجالس، ص396-397

المبحث الثالث: انتصار المذهب السني المالكي وأفول المذهب الشيعي الإسماعيلي بالمغرب الإسلامي

أولا–بداية تراجع المذهب الشيعي الإسماعيلي: بذلت الدولة الفاطمية قُصارى جهدها من أجل نشر مذهبها الشيعي الإسماعيلي في بلاد المغرب الإسلامي ساعدها في ذلك جهود الدعاة الذين لم يدّخروا أي جهد في سبيل نشر عقيدتهم، لكن برزت في الاتجاه المعاكس مقاومة سنية شرسة تزعمها فقهاء المالكية والتي تصدّت ووقفت بالمرصاد لمحاولات تشييع العامة[1].

ورغم الملاحم والبطولات التي سطّرها فقهاء المالكية في الذّود عن مذهب أهل السنة والجماعة، الاّ أنّ المذهب الشيعي الإسماعيلي بقي مسيطرا على امتداد الفترة التي بقي فيها الفاطميون في بلاد المغرب، لكن بمجرد رحيل المعز لدين الله الفاطمي إلى المشرق، وبرفقته جزء هام من قبيلة كتامة فَقَدَ هذا المذهب دعامته وأسباب وجوده ونعني بذلك عصبية القبيلة ونفوذ الدولة، وحلّ محله المذهب المالكي بصفة تدريجية والذي بقي سائدا إلى اليوم، حيث وقف فقهاء المالكية في وجه من بقي يدعو للتشيع من الوهلة الأولى من مغادرة الفاطميين، واستضعفوا المشارقة من أهل افريقية بعد أن غادرهم ممثلوهم الحقيقيون الذين كانوا سندا لهم، ولم تطل المدة حتى خلى الجو للعقيدة الإسلامية البسيطة الواضحة الغراء التي لا تقبل تأويلا ولا تستسيغ تعقيدا، وذلك بعد أن تمكّن الفقهاء من إعادة الأمور إلى نصابها وطهّروا معتقدات الناس من كل ألوان الشبهات والبدع[2].

ثانيا–دور العائلة الزيرية في التّمكين للمذهب السني المالكي: رغم الصعوبات التي مرّ بها المذهب السني المالكي في بلاد المغرب الإسلامي ورغم المضايقات التي حلّت بعلمائه في العهد الفاطمي، الا أنّ هذا المذهب وبصفة متدرجة سطع نجمه من جديد، وقام بدور طلائعي في شتّى المجالات، وذلك بسبب تفاعل العائلة الزيرية مع الاتجاه السني ولا سيما المذهب المالكي، وقد يكون ذلك منذ فترة مبكرة، رغم احتفاظ أفرادها بالمذهب الشيعي الإسماعيلي كمذهب رسمي للدولة[3].

---

[1] طارق بن زاوي، المرجع السابق، ص119

[2] عبد العزيز المجدوب: **الصراع المذهبي بافريقية إلى قيام الدولة الزيرية**، الدار التونسية للنشر، ط2، تونس، 1985م، ص223

[3] الهنتاتي، المرجع السابق، ص171

ويبدو أن بلكين ابن زيري (362-373هـ/973-984م) حاول التوفيق بين المذهبين السني المالكي والشيعي الإسماعيلي، وما حضوره للصلاة على جنازة أحد فقهاء المالكية وهو أبو سعيد خلف بن عمر (ت 371هـ) بمعية أتباع المذهبين من موافق ومخالف الّا دليل على ذلك[1]، أما في عهد ابنه المنصور ابن بلكين (373-386هـ/984-996م) فقد توطدت العلاقة بين الزيريين وأتباع المذهب المالكي أكثر حيث أمر كاتبه أن يدفع للوافدين عليه من شيوخ القيروان عشرة آلاف دينار ضيافة فدعوا له وانصرفوا، واستدعاهم مرة أخرى وعبّر لهم عن استقلاليته تجاه الفاطميين وقال لهم: "ان أبي وجدي أخذا الناس بالسيف قهرا، وأنا لا آخذهم الا بالإحسان، وما أنا في هذا الملك ممّن يُولّي بكتاب ويُعزَل بكتاب، لأني ورثته عن آبائي وأجدادي، وورثوه عن آبائهم وأجدادهم حميَر"[2]، أمّا المعزّ بن باديس (406-454هـ/1016-1062م) فيعترف له العلماء خصوصا والمصادر السنية عموما بنزعته السنية حيث يذكر ابن عُذارى أنّ وزير الأمير وهو أبو الحسن بن أبي الرجال هو الذي دلّ المعز على مذهب مالك والسنة والجماعة والشيعة لا يعلمون ذلك[3]، لذلك يقول أحد فقهاء الأندلس في هذه الأبيات مادحا المعزّ ما يلي:

يا معزّا أعزّ أهل الديـــــن***وتردي بكل فضل مبيـن

فمن القيروان تبغي المعاني***وبها نشر كل علم مصون[4]

ثالثا-مظاهر تعاظم المذهب السني المالكي في بلاد المغرب: بالرغم من محاولات الفاطميين المتكررة لإعادة سكان افريقية وحكامهم إلى جادة الصواب حسب رأيهم، ومن بين تلك المحاولات ارسال الدعاة لدعوة الناس إلى مذهبهم، فإنّ سكّان افريقية صمّوا اذانهم عنهم ولم يجبهم أحد، بل وتطور الأمر إلى حدّ قتل أحد الدّعاة في عهد باديس بن المنصور (386-406هـ/996-1016م) وهو مظهر يعبر عن تعاظم نفوذ أتباع المذهب السني المالكي[5]، بالإضافة إلى أنّ القضاء في القيروان أصبح منحصرا في عائلة مالكية ثرية وهي عائلة "بني هاشم" وذلك فيما بين 337-435هـ/948-1043م، ولقد كان هؤلاء القضاة على اتصال وثيق بفقهاء المالكية، أما من الناحية الفكرية فيبدو

---

[1] الهنتاتي، المرجع السابق، ص171-172

[2] ابن عُذارى، المصدر السابق، ج1، ص240

[3] نفسه، 273-274

[4] الهنتاتي، المرجع السابق، ص175

[5] الدبّاغ، المصدر السابق، ج1، ص26

أنّ الزيريين قد رفعوا الحظر الذي كان مسلّطا على المذهب السنّي المالكي وأصبح من الممكن تدريس فقهه في الأماكن العمومية، مما سمح بإعادة الروح للدراسات المالكية وازدهار التأليف في الفقه المالكي وبروز فقهاء أعلام أعادوا للقيروان اشعاعها على مستوى الغرب الإسلامي وحوّلوها إلى قبلة يقصدها الناس لتدريس الفقه المالكي[1]، وتطور الأمر أكثر من هذا الحد عندما تحمّس العامة لتقتيل من بقي من الشيعة بإفريقية خاصة في فترة حكم المعزّ بن باديس ووقعت مجازر دامية، ربما كانت نتيجة حتمية لنشاط فقهاء المالكية الدؤوب من خلال فتاويهم التي كفّروا فيها الشيعة واستباحوا فيها دمائهم واعتبروا حالهم حال المرتدين والزنادقة، ومن أبرز المحطات الدامية ما وقع سنة 406هـ/1015م بمدينة تونس من مجزرة دامية بقيادة محرز بن خلف (ت413هـ)، وما وقع بالقيروان سنة 407هـ/1016م والتي تحرك أهلها وقتلوا 3000 من الشيعة في موضع أصبح يعرف "ببركة الدّم"، ثم انتشرت المجازر وعمّت مختلف مناطق افريقية بنفس الحدّة وربما أعنف[2]، حيث قُدّر عدد القتلى من الشيعة بأكثر من 20000 بالقيروان وأحوازها[3]، ولقد قرّب المعزّ اليه أيضا علماء المالكية واستفتاهم في عدة مسائل تخص أحيانا الجانب السياسي، وعلى سبيل المثال فيما يتعلق بتحديد نوعية علاقته بالفاطميين، ومكّنهم من مناصب هامة كالقضاء والافتاء وإمامة الصلاة، وأصبح الفقهاء في عهده فئة مؤثّرة في الحياة السياسية وفي أوساط المجتمع بصفة عامة[4].

رابعا–القطيعة مع الفاطميين

اختلف المؤرخون في تحديد تاريخ انفصال بلاد المغرب عن الفاطميين، بل وتعددت الأقوال عند البعض منهم، لكن يبقى أن نشير إلى أنّ كُلّها محصورة بين سنتي 433هـ/1041م و1051/443م[5]، فيقول ابن عُذارى: " وفي سنة 433هـ أظهر المعزُّ الدّولة العباسيةَ، وورد عليه أمر القائم بأمر الله"[6]، ويذكر ابن عُذارى أيضا أنه في سنة440هـ قُطعت الخطبة لصاحب مصر وأُحرقت بنوده، وأعطى المعزّ بن باديس أوامره بأن يُدعى من على منابر افريقية للعبّاس بن عبد

[1] الهنتاتي، المرجع السابق، ص172-173

[2] نفسه، ص176

[3] ابن عُذارى، المصدر السابق، ج1، ص274

[4] الهنتاتي، المرجع السابق، ص181-182

[5] طارق بن زاوي، المرجع السابق، ص141

[6] ابن عُذارى، المصدر السابق، ج1، ص275-276

المطلب، والكفّ عن دعوة الشيعة العبيديين، ومنها أصبح الخطيب يدعو للخلفاء الأربعة وللعبّاس ولبقية العشرة رضي الله عنهم[1]، وفي شهر شعبان من سنة 441هـ أمر المعز بتغيير السكّة فنقش على الأزواج في

الوجه الواحد﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾[آل عمران: 85]، وفي الوجه الثاني عبارة" لا إله الا الله محمد رسول الله"، وأمر بسبك ما عنده من الدنانير التي تحمل أسماء بني عبيد وبثّ في الناس بقطع سكتهم وزوال أسمائهم من جميع الدنانير والدراهم بسائر عمله[2]، وأمام هذا الفعل المعادي للفاطميين اهتدى هؤلاء إلى فكرة مُثلى للانتقام، تتمثل في ارسال الهلاليين إلى بلاد المغرب للتخلص منهم ومن المشاكل التي كانوا يثيرونها في صعيد مصر من جهة وللانتقام من المعزّ وعصبته صنهاجة من جهة أخرى، لأنّ أمر العرب البادية أسهل من أمر صنهاجة الملوك حسبهم[3]، وبدأوا في التحضير لدخول الهلاليين إلى افريقية منذ سنة 441هـ حيث أغدقوا عليهم بالعطايا وكان نصيب كل جائز دينار وبعير، وتقارعوا على البلاد فكان لسليم الشرق ولهلال الغرب فعاثوا في الأرض خرابا[4].

[1] ابن عُذارى، المصدر السابق، ج1، ص277

[2] نفسه، ص278

[3] ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص19

[4] نفسه، ص20

الخـاتمـــــة

انطلاقا من الخطوات التي انتهجناها لإعداد هذه الدراسة المتواضعة والمتعلقة بفقهاء المالكية وموقفهم من الوجود الفاطمي في بلاد المغرب، والتي تخص بدرجة أكبر الفترة الممتدة من القرن 3هـ/9م، وبدرجة أقل إلى ما قبلها كمرحلة تمهيدية والى ما بعدها كنتائج مترتبة ارتسمت لنا صورة واضحة لموقف فقهاء المالكية تجاه الوجود الفاطمي ببلاد المغرب الإسلامي بصفة خاصة، وللعلاقة التي دارت بين دعاة المذهبين السنّي المالكي والشيعي الإسماعيلي بذات المنطقة بصفة عامة، والتي يمكن ايجازها فيما يلي:

1-كلا المذهبين (السني المالكي والشيعي الإسماعيلي) وصلا إلى بلاد المغرب الإسلامي، التي كانت في تلك الفترة أرضا خصبة للعديد من المذاهب والفرق التي ظهرت آنذاك، خاصة وأنها منطقة حديثة عهد بالإسلام، وبعيدة عن التجاذبات السياسية للدولة الأموية وللعباسية بعدها.

2-المذهب السني المالكي كان واسع الانتشار في بلاد المغرب الإسلامي لعدة اعتبارات منها طبيعة المجتمع المغاربي المتوافقة مع طبيعة وبيئة سكان الحجاز، ومنها لبساطة المذهب المالكي البعيدة عن التعقيد العقلي كما هي أرض العراق.

3-المذهب الشيعي الإسماعيلي انتشر في مناطق محدودة من بلاد المغرب الإسلامي، وخاصة بين الكتاميين وسرعان ما انكمش نفوذه لِمَا بَدَرَ منه دعاته وقادته من مخالفات سياسية وفقهية، أدت به إلى احتدام الصراع بين الشيعة أنفسهم، وخير مثال على ذلك قتل المهدي لأبي عبد الله الشيعي وأخيه.

4-السياسة المذهبية للدولة الفاطمية بدأت بالدعوة لآل البيت فكسبت قلوب البربر واتسعت دائرة المنتسبين لها، ثم ابانت فيما بعد عن حقيقتها في مخالفة كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم.

5-أنّ الشيعة استغلوا حداثة عهد البربر بالإسلام وجهلهم لخباياه وتفاصيله وركزوا لهم في بادئ الأمر على الدعوة لآل البيت الأطهار لأنهم كانوا على دراية بمدى حب البربر لهم.

6-حدوث صراعات بين فقهاء المالكية والفاطميين، بعد تمكُّن الأمر لهؤلاء الأخيرين، وانتهاجهم لسياسية مذهبية مخالفة للقرآن والسنة.

7-الفاطميون بذلوا قُصارى جهدهم لنشر مذهبهم الشيعي الإسماعيلي وانتهجوا كل الوسائل في سبيل ذلك، منها الاغراء والقمع الذي وصل إلى حد التصفية والتنكيل بالجثث.

8-فقهاء المالكية ضربوا أروع الأمثلة في الذود عن مذهب أهل السنة والجماعة ولم يستكينوا أبدا حتى وإن كان ذلك على حساب حياتهم الشخصية.

9-تراوحت أساليب مقاومة فقهاء المالكية للوجود الفاطمي في بلاد المغرب من أضعف الايمان إلى أقواه، فكانت المقاومة الصامتة، والجدلية، والعلمية، والمسلحة، وغيرها من الأساليب.

10-دفع فقهاء المالكية الثمن غاليا في سبيل نصرة المذهب المالكي وكان مصير الكثير منهم التضييق والفصل من المناصب والسجن والتعذيب والقتل.

11-تضايق الفاطميون من المقاطعة المالكية من قبل ومن بعد، فقامت ضدهم الثورات مثل ثورة أبي يزيد مخلد بن كيداد الخارجي الذي شاركه فيها فقهاء المالكية واستمرت حتى بعد انتقالهم إلى مصر حيث دفع من بقي منهم الثمن غاليا في عهد الدولة الصنهاجية.

12-اضطر الفاطميون إلى تجنب مراكز ومناطق إقامة المالكيين خاصة رقادة والقيروان وقاموا ببناء المهدية ثم لجأوا اليها حتى ينعموا بالأمن والآمان.

13-لم يجد الفاطميون من سبيل أمامهم وأمام أناس يرفضون دولتهم وعقيدتهم الا الخروج من بين ظهرانيهم حتى يتقوا شرهم ويضمنوا بقاء دولتهم، فانتقلوا إلى مصر بعد ان افتتحها جوهر الصقلي في عهد المعز لدين الله الفاطمي.

14-تعاظم أمر المذهب السني المالكي في بلاد المغرب الإسلامي بعد انتقال الفاطميين إلى مصر، ومن مظاهر ذلك تعيين أعيانه على رأس القضاء، وغيرها من المناصب الادارية، ورفع القيود على تدريسه والتأليف فيه.

15-حدثت القطيعة بين الفاطميين وبلاد المغرب الإسلامي في عهد المعزّ بن باديس الذي قطع الدعوة للفاطميين وأعاد للمذهب المالكي لمعانه وبريقه.

ويمكن الإشارة أيضا إلى أنّ دراسة مثل هذه المواضيع الفقهية تحتاج الى:

1-دراية واسعة بعلم الفقه لاختصار الوقت في انجاز العمل، ولمعرفة مضامين المذاهب معرفة عميقة ودقيقة.

2-يجب التركيز على المصادر والمراجع السنّية المالكية من جهة، والشيعية الإسماعيلية من جهة أخرى، حتى يكون الحكم صحيحا وشفافا في سرد ما جرى من أحداث بين فقهاء المالكية والفاطميين ببلاد المغرب الإسلامي، لأنّ الحكم الفردي لا يكون منصفا في كلّ الأحوال.

3-يجب على الباحثين الجدد في هذا الموضوع التركيز والتدقيق في نسب الفقهاء في بلاد المغرب، فكثير من الدراسات تخلط بين فقهاء المالكية والفقهاء الأحناف.

الملاحق

الملحق رقم: 01[1]

خريطة توضح الخلافة الفاطمية في إفريقية والمغرب

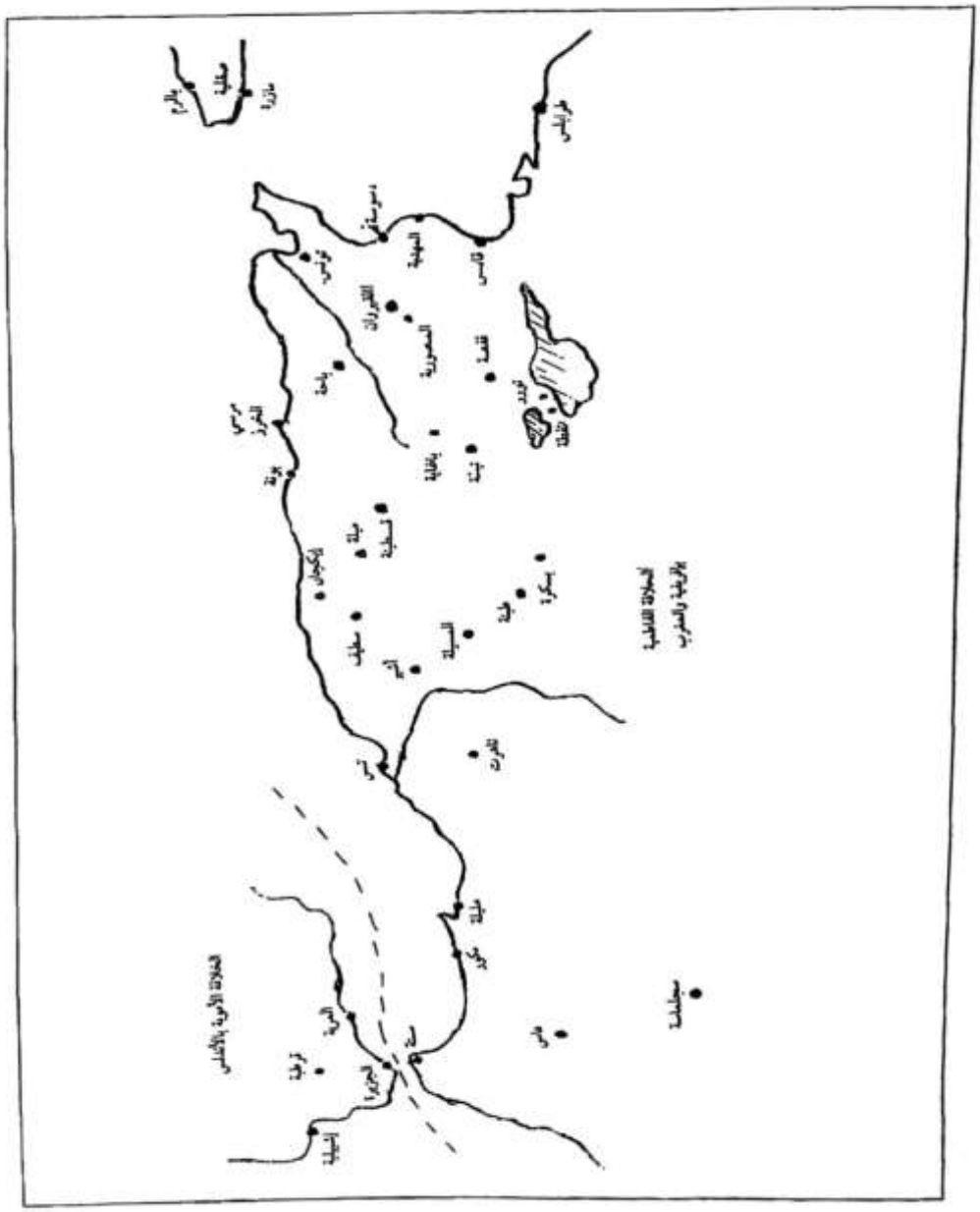

[1] الدشراوي، المرجع السابق، ص204

الفهارس العامة

فهرس الآيات

الرقم	الآية	رقمها	سورتها	الصفحة
01	﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ وَسَعَىٰ فِي خَرَابِهَا أُولَٰئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَن يَدْخُلُوهَا إِلَّا خَائِفِينَ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾	114	البقرة	47
02	﴿ مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِّي مِن دُونِ اللَّهِ وَلَٰكِن كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ (79) وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا ۗ أَيَأْمُرُكُم بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾	80-79	آل عمران	77
03	﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾	85	آل عمران	91
04	﴿ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا ﴾	97	النساء	61
05	﴿ وَلَا يَطَئُونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ الْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَّيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُم بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ ۚ إِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴾	120	التوبة	70
06	﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ ﴾	123	التوبة	79
07	﴿ يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ النِّسَاءِ ۚ ﴾	32	الاحزاب	75
08	﴿ وَلَٰكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ ﴾	40	الاحزاب	76

فهرس الآيات

09	﴿ هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾	03	الحديد	76
10	﴿ وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا ﴾	27	الحديد	78-77
11	﴿ لا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أو أَبْنَاءَهُمْ أو إِخْوَانَهُمْ أو عَشِيرَتَهُمْ ۚ أُولَٰئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ۖ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ۚ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ۚ أُولَٰئِكَ حِزْبُ اللَّهِ ۚ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾	22	المجادلة	68

فهرس الأحاديث

الرقم	الحديث	الصفحة
01	«إنّ أهل الضر والبلاء إذا عاينوا ثواب الله عز وجل لهم في الآخرة ودوّا لو أعادهم الله سبحانه إلى الدنيا وقرضت لحومهم بالمقاريض»	53
02	«إنّ كل بدعة ضلالة»	77
03	«من كنت مولاه فعلي مولاه»	77
04	«يكون في آخر الزمان قوم يقال لهم الرافضة فاذا أدركتموهم فاقتلوهم انهم كفار»	80
05	«يوشك ان يضرب الناس أكباد الابل في طلب العلم، فلا يجدون عالما أعلم من عالم المدينة»	22

قائمة المصادر والمراجع

أولا–القرآن الكريم.

ثانيا–قائمة المصادر:

–ابن الاثير، عز الدين أبو الحسين علي بن أبي الكرم (ت630هـ):

1–**الكامل في التاريخ**، مطبعة بريل، مدينة ليدن المحروسة، 1866، ج8.

–ادريس عماد الدين (ت 1468م)

2–**تاريخ الخلفاء الفاطميين بالمغرب (القسم الخاص من كتاب عيون الأخبار)**، تح محمد اليعلاوي، دار الغرب الإسلامي، ط1، بيروت، 1985م.

–البكري، أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز بن محمد بن أيوب بن عمرو البكري (ت 487هـ):

3–**المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب**، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، د.س.ط.

–الترمذي، محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، السلمي الترمذي (ت279هـ):

4–**سنن الترمذي وهو الجامع الكبير**، تح ودر دار التأصيل مركز البحوث وتقنية المعلومات، ط1، د.م.ط، 2014م.

–ابن تيمية تقي الدين أحمد بن عبد الحليم أبو العباس (ت728هـ):

5–**منهاج السنة النبوية**، تح محمد رشاد سالم، د.د.ط، د.م.ط، د.س.ط.

–ابن حماد، أبو عبد الله محمد بن علي بن حماد بن عيسى أبي بكر الصنهاجي القلعي (ت628هـ):

6–**أخبار ملوك بني عبيد وسيرتهم**، تح ودرا د. التهامي نقرة ود. عبد الحليم عويس، دار الصحوة، القاهرة، د.س.ط.

–الخشني، أبو عبد الله محمد بن الحارث الخُشَني القيرواني الأندلسي (ت 361هـ):

7–**طبقات علماء افريقية**، تح محمد زينهم محمد عزب، مكتبة مدبولي بالقاهرة، ط1، مصر، 1993م.

8-**قضاة قرطبة وعلماء افريقية**، صححه عزت العطار الحسني، مكتبة الخانجي بالقاهرة، ط2، مصر، 1994م، ص280

-ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد ابن خَلْدُون أبو زَيْد وَلِي الدّين الإَشبيلي (ت 1406م):

9-**تاريخ ابن خلدون**، ضبط الأستاذ خليل شحاذة، مرا/ د. سهيل زكار، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت لبنان، 2001.

-ابن خلكان، أبو العباس أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر بن خلكان (ت628هـ)

10-**وفيا ت الأعيان وأنباء أبناء الزمان**، تحقيق احسان عباس، دار صادر، بيروت.

-الدبّاغ، عبد الرحمان بن محمد الانصاري الأسيدي (ت699هـ):

11-**معالم الايمان في معرفة أهل القيروان**، علق عليه أبو الفضل أبو القاسم بن عيسى بن ناجي التنوخي، تحقيق محمد الاحمدي أبو النور، مكتبة الخانجي، مصر، 1968م.

-الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد (ت 748هـ):

12-**سير أعلام النبلاء**، تحقيق أكرم البوشي، مؤسسة الرسالة، ط1، بيروت، 1983م.

-الشهرستاني محمد عبد الكريم أبو الفتح (ت548هـ):

13-**الملل والنحل**، تح عبد العزيز محمد الوكيل، مؤسسة الحلبي وشركاه للنشر والتوزيع، القاهرة، 1978.

-ابن عُذرى المراكشي، أبو العباس أحمد **بن** محمد (ت 695هـ):

14-**البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب**، تح ج.س كولان ول. بروفنسال، دار الثقافة، ط3، بيروت، 1983م.

-أبو العرب، محمد بن أحمد بن تميم التميمي (ت333هـ):

15-**كتاب المحن**، تحقيق يحي وهيب الجبوري، دار الغرب الإسلامي، ط3، بيروت، 2006م.

ابن العمّاد، عبد الحي **بن** أحمد **بن** محمد (ت1089هـ)

16-**شذرات الذهب في أخبار من ذهب**، تحقيق محمود الارناؤوط، دار ابن كثير، ط1، بيروت، 1986م.

-الغزالي، أبو حامد (ت505هـ):

17-**فضائح الباطنية**، تح عبد الرحمن بدوي، مؤسسة دار الكتب الثقافية، الكويت، 1974م.

-ابن فرحون، إبراهيم بن علي بن محمد، ابن فرحون، برهان الدين اليعمري (ت 799هـ)

18-: **الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب**، تح أمون بن محيي الدين الجنان، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت لبنان، 1996.

-ابن الفرضي، أبو الوليد عبد الله بن محمد بن يوسف (ت 403هـ):

19-**تاريخ علماء الأندلس**، الدار المصرية للتأليف والترجمة، القاهرة، 1966م.

-القاضي النعمان، النعمان بن محمد بن منصور بن أحمد بن حيون التميمي (ت363هـ):

20-**افتتاح الدعوة**، تح فرحات الدشراوي، الشركة التونسية للتوزيع، ط2، تونس، 1986م.

21-**المجالس والمسايرات**، تح الحبيب الفقي وآخرون، دار المنتظر، ط1، بيروت، 1996م.

-القاضي عياض، عياض بن موسى بن عياض السبتي (ت 544هـ):

22-**تراجم أغلبية**، تح محمد الطالبي، نشر الجامعة التونسية، تونس، 1968م.

23-**ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة اعلام مذهب مالك**، تح محمد بن تاويت الطبخي، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، ط2، المملكة المغربية، 1983.

-القرافي، شهاب الدين أبو العباس أحمد بن أبي العلاء إدريس بن عبد الرحمان (ت684هـ):

24-**شرح تنقيح الفصول في اختصار المحصول في الأصول**، طبعة جديدة مصححة ومنقحة، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت لبنان، 2004م.

-مالك بن أنس، أبو عبد الله مالك بن أنس بن مالك بن أبي عامر (ت179هـ):

25-**الموطأ**، صححه محمد فؤاد عبد الباقي، دار احياء الكتب العربية، ط جديدة مصححة، بيروت لبنان، د.س.ط.

-المالكي، أبو بكر عبد الله بن محمد (ت474هـ):

26-**رياض النفوس**، تح بشير البكوش، دار الغرب الإسلامي، ط2، بيروت،1994م.

27-**رياض النفوس**، نشره حسين مؤنس، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1951م.

-مخلوف محمد بن محمد (ت 1360هـ):

28-**شجرة النور الزكية في طبقات المالكية**، المطبعة السلفية ومكتبتها، القاهرة، 1349هـ.

-المقري أحمد بن محمد التلمساني (ت 1631م):

29-**نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب**، تحقيق احسان عباس، دار صادر، بيروت،1988م.

-المقريزي، تقي الدين أحمد بن علي (ت845هـ):

30-**اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا**، مطابع الأهرام التجارية، قليوب (مصر)، د.س.ط.

31-**المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار**، مكتبة المثنى، بغداد، 1970م.

-النوبختي، الحسن بن موسى (ت350هـ):

32-**فرق الشيعة**، منشورات الرضا، ط1، بيروت، 2012م.

-النويري، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب (ت733هـ):

33-**نهاية الارب في فنون الأدب**، تح د. نجيب مصطفى فواز ود. حكمت كشلي فواز، دار الكتب العلمية بيروت، ط1، لبنان، 2004م.

-ياقوت الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله (ت626هـ)

34-**معجم البلدان**، دار صادر، بيروت، د.س.ط.

ثالثا-قائمة المراجع:

-أيمن فؤاد سيد:

1-**الدولة الفاطمية في مصر**، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 2007م.

-بلهواري فاطمة:

2-**الفاطميون وحركات المعارضة في بلاد المغرب الإسلامي**، دار المسك للطباعة والنشر، تلمسان، 2011م.

-بوعزيز يحي:

3-**أعلام الفكر والثقافة في الجزائر المحروسة**، دار الغرب الإسلامي، ط1، بيروت، 1995م.

-البيلي، محمد بركات:

4-**التشيع في بلاد المغرب الإسلامي حتى منتصف القرن الخامس الهجري**، دار النهضة العربية، القاهرة، 1993م.

5-**صفحات من تاريخ الدولة الفاطمية**، كلية الآداب بجامعة القاهرة، مصر، 2007م.

-التهامي إبراهيم:

6-**جهود علماء المغرب في الدفاع عن عقيدة أهل السنة**، مؤسسة الرسالة ناشرون، ط1، بيروت، 2005م.

-تيمور باشا أحمد:

7-**نظرة تاريخية في حدوث المذاهب الأربعة**، المطبعة السلفية ومكتبتها، ط2، القاهرة، 1351هـ،

-الجيدي عمر:

8-**مباحث في المذهب المالكي بالمغرب**، مطبعة المعارف الجديدة، ط1، الرباط، 1993م.

-الجيلالي، عبد الرحمان بن محمد:

9-**تاريخ الجزائر العام**، منشورات دار مكتبة الحياة، ط2، الجزائر، 1965م.

-حمودة عبد الحميد حسين:

10-**تاريخ المغرب في العصر الإسلامي منذ الفتح وحتى قيام الدولة الفاطمية**، الدار الثقافية للنشر، ط1، القاهرة، 2006م.

-الخربوطلي، علي حسني:

11-أبو**عبد الله الشيعي مؤسس الدولة الفاطمية**، المطبعة الفنية الحديثة، القاهرة، 1972م.

-الدشراوي فرحات:

12-**الخلافة الفاطمية بالمغرب**، تعريب حمادي الساحلي، دار الغرب الإسلامي، ط1، لبنان، 1994م.

-الزرباطي، سيد حسين الحسيني:

13-**بغية الحائر في أحوال أولاد الامام الباقر**، طبعة جديدة منقحة مزيدة مع الترجمة الفارسية، د.م.نش، 1438هـ/2018م.

-الزركلي خير الدين:

14-**الأعلام (قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين)**، دار العلم للملايين، بيروت، د.س.ط.

-الصلابي علي محمد:

15-**الصراع بين أهل السنة والرافضة**، مكتبة الصحابة بالشارقة، ط1، الامارات، 2007م.

16-**الدولة الفاطمية**، مؤسسة اقرأ للنشر والتوزيع والترجمة، ط1، القاهرة، 2006م.

-أبو زهرة محمد:

17-**مالك حياته وعصره-آراؤه وفقهه**، مكتبة الانجلو المصرية، ط2، القاهرة،1947.

-سرور محمد جمال الدين:

18-**تاريخ الدولة الفاطمية**، دار الفكر العربي، مصر، 1995م.

-سعد زغلول عبد الحميد:

19-**تاريخ المغرب العربي من الفتح إلى بداية عصر الاستقلال**، منشأة المعارف، الإسكندرية، 1993م.

-السلومي سليمان عبد الله:

20-**أصول الإسماعيلية (دراسة-تحليل-نقد)**، دار الفضيلة، ط1، الرياض، 2001م.

-شاكر مصطفى:

21-**موسوعة دول العالم الإسلامي ورجالها**، دار العلم للملايين، ط1، بيروت، 1993م.

-شواط الحسين بن محمد:

22-**مدرسة الحديث في القيروان من الفتح الإسلامي إلى منتصف القرن الخامس الهجري**، الدار العالمية للكتاب الإسلامي، ط1، الرياض، 1411هـ.

-الشيّال جمال الدين:

23-**مجموعة الوثائق الفاطمية (وثائق الخلافة وولاية العهد والوزارة)**، مكتبة الثقافة الدينية، مصر، 2000م.

-ظهير احسان إلهي:

24-**الإسماعيلية تاريخ وعقائد**، إدارة ترجمان السنة، لاهور باكستان، 1987م.

-العبادي أحمد مختار:

25-**دراسات في تاريخ المغرب والأندلس**، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، د.س.ط.

-غالب مصطفى:

26-**تاريخ الدعوة الإسماعيلية**، دار الاندلس للطباعة والنشر والتوزيع، ط2، بيروت، د.س.ط.

-قاسم علي سعد:

27-**جمهرة تراجم الفقهاء المالكية**، دار البحوث للدراسات الإسلامية واحياء التراث، ط1، الامارات العربية، 2002م.

-لقبال موسى:

28-**دور كتامة في الخلافة الفاطمية منذ تأسيسها حتى منتصف القرن الخامس الهجري**، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1979م.

-مجاني بوبة:

29-**من قضايا التاريخ الفاطمي في دوره المغربي**، دار بهاء الدين للنشر والتوزيع بقسنطينة، ط1، الجزائر، 2007م.

-المجدوب عبد العزيز:

30-**الصراع المذهبي بإفريقية إلى قيام الدولة الزيرية**، الدار التونسية للنشر، ط2، تونس، 1985م.

-محفوظ محمد:

31-**تراجم المؤلفين التونسيين**، دار الغرب الإسلامي، ط1، بيروت، 1982م.

-الهادي روجي ادريسي:

32-**الدولة الصنهاجية تاريخ افريقية في عهد بني زيري من القرن 10 إلى القرن 12م**، ترج حمادي الساحلي، دار الغرب الإسلامي، ط1، بيروت، 1992م.

-الهنتاتي نجم الدين:

33-**المذهب المالكي بالغرب الإسلامي إلى منتصف القرن 5هـ/11م**، منشورات تبر الزمان، تونس، 2004م.

-ياغي غزوان مصطفى:

34-**الدولة الفاطمية الدعوة والتأسيس**، د.د.ط، القاهرة، 1998م.

رابعا–الرسائل والمذكرات:

-بن زاوي طارق:

1-**استقلال المعز بن باديس الزيري عن الدولة الفاطمية**، (مذكرة ماجستير)، التاريخ الوسيط، اشراف: د/رافعي نشيدة، جامعة الجزائر، الجزائر، 2009/2008.

-سبع قادة:

2-**الصراع المذهبي العقدي بالغرب الإسلامي، أسسه مجالاته وانعكاساته**، درجة البحث (دكتوراه)، تاريخ المغرب الإسلامي، اشراف د. بن معمر محمد، جامعة وهران، الجزائر، 2015.

خامسا–المقالات الورقية:

-بوبجرة علي الشريف بشير:

1-"جهاد الفقهاء المالكية، وأساليب مقاومتهم للدولة الشيعية العبيدية"، **الحوار المتوسطي**، جامعة الزيتونة، العدد 3، تونس، 2020/12/31.

-الجيدي عمر:

2-نظرات في تاريخ المذهب المالكي، **مجلة دعوة الحق**، العدد 223، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المملكة المغربية، يوليو 1982.

-العيساوي علاء كامل صلاح والفرطوسي محمد حلو خلف:

3-الفتاوى التي أصدرها فقهاء المالكية وأثرها على الدولة الفاطمية لغاية سنة (362هـ/792م)، **مجلة حولية المنتدى**، العدد 14، آذار 2018.

سادسا–المواقع الالكترونية:

1-موقع اسلام ويب https://www.islamweb.net

سابعا–المراجع الأجنبية:

1-Fu ad sayyid: la capitale de l'Egypte jusqu'à l'époque fatimide (al qahira et al fustat). Essai de construction topographique. Beirut 1998.

2-Idriss. Hady Roger : la berbèrie orientale sous les zirides Xe-XIIe siècles. Libraire d'Amérique et d'orient Paris 1962.

3-R. Basset. Encyclopédie de l'islâm. G-P Maisonneuve. Paris. 1975. T5.

ملخص المذكّرة

1-الملخص بالعربية:

شهد المغرب الإسلامي بروز عديد الفقهاء من المذهب المالكي الذين كان لهم الفضل في غرس تعاليم المذهب في أوساط العامة من خلال ادخال كتاب الموطأ للإمام مالك بن أنس، والتعريف به، أو من خلال اصدار مؤلفات أخرى في المذهب، وعلى رأسهم سحنون التنوخي الذي حمل على عاتقه مسؤولية التعريف بالمذهب السنّي المالكي فزاده ذلك شهرة وأصبح مقصد طلبة العلم، لكن بعد استفحال أمر الدعوة الشيعية الإسماعيلية التي كانت بدايتها مع الداعيتين الحلواني وأبي سفيان ومن بعدهم أبي عبد الله الشيعي الذين توجت جهودهم بتأسيس الدولة الفاطمية عام 297هـ، ظهرت ردود أفعال مختلفة من طرف العديد من الفقهاء كان في مجملها رفض الوجود الفاطمي وسياستهم المذهبية المخالفة للكتاب والسنة النبوية، من بينها مواجهتهم بالحجة والدليل وإصدار الفتاوي التي تحرض الناس على مواجهتهم وعدم الدخول في دعوتهم، ووصل الأمر إلى تبني المقاومة المسلحة ومشاركة ثورة أبي يزيد بعد الاضطهاد الذي تعرضوا له، فضربوا أروع الأمثلة في الذود عن مذهب أهل السنة والجماعة، من بينهم ابن البردون، وابن هُذيل، وسعيد بن الحدّاد، وعروس المؤذّن، وغيرهم كثير، وبالرغم من تواطؤ بعض الفقهاء وتعاطفهم مع الفاطميين فانّ نهاية الصراع كان لصالح المذهب المالكي حيث لجأ الفاطميون في بادئ الأمر إلى تجنب مراكز تواجد المالكيين بعد ان استعصى عليهم الأمر، فانتقلوا إلى المهدية بعد اكتمال بنائها، وأُرغموا في نهاية المطاف للخروج من بلاد المغرب في اتجاه بلاد المشرق وتحديدا إلى مصر وذلك عام 362هـ بعد ان استخلفوا الزيريين في مكانهم والذين بدورهم أعلنوا قطيعتهم مع الفاطميين فيما بعد، ثم ساهموا في التمكين للمذهب المالكي وفي تحريض الناس على من بقي من الشيعة، وظهرت العديد من المجازر التي دفع فيها الشيعة ثمن بقائهم في بلاد المغرب، عندها لم يجد الفاطميون أمامهم من وسيلة إلّا الانتقام ووجدوه في إرسالهم لبني هلال وبني سليم وباقي الهجرات الهلالية من خلال تشجيعهم على دخول المغرب، فشهد هذا الأخير خارطة سياسية واجتماعية جديدة بعد ذلك.

2-Summary in English:

The Maghreb was known for the emergence of the Maliki jurists who were credited with instilling the teachings of the Maliki school of thought among the common people through the book Al-Muwatta and introducing it, or through their head Sahnun Al-Tanoukhi, who has the responsibility to introduce the Sunni doctrine Those who demonstrated their efforts by establishing the oral state in the year 297 hijri, there were actual reactions from another party in the jurists rejecting the Fatimid existence and their doctrinal policy in violation of the Book and the Prophet's Sunnah, from confronting them with argument and evidence and issuing fatwas that incite people to confront them and not engage in their bid, and the matter reached armed resistance and opponents. And the door of Yazid was opened after the persecution they had been subjected to, and they struck the most wonderful of them on the way. Ahl al-Sunnah wal-Jama`ah, including Ibn al-Baradoun, Ibn Hudhail, Saeed ibn al-Haddad, Arrous muezzin, and many others. At the end of the conflict many of the fatimist in the begining avoid the places were the maliki jurists exist, then they went to elmahdia and obliged at the end to lock out the maghreb region to oriental region specially to egypt in 362 hijri. After that they let ziriin who were against fatimist later. Then they help the maliki jurists to spred and agitate people to fight shiism.

A lot of massacres appeared where many of shiist died in it. Finally, the fatimist didn't find any way just revenge and they sent to them EL HILALIEEN who destroy the area.

فهرس المحتويات العام

فهرس المحتويات العام

الموضوع	الصّفحة
المقدمة	11-1
الفصل التمهيدي: التعريف بالمذهبين السني المالكي والشيعي الإسماعيلي، وأسباب دخولهما إلى بلاد المغرب الإسلامي.	27-12
المبحث الأول: لمحة تعريفية للمذهبين، السني المالكي والشيعي الاسماعيلي	20-13
أولا: المذهب السني المالكي	16-13
ثانيا: المذهب الشيعي الاسماعيلي	20-17
المبحث الثاني: أسباب دخول المذهبين، السني المالكي والشيعي الإسماعيلي إلى بلاد المغرب	27-21
أولا: أسباب دخول المذهب السني المالكي إلى بلاد المغرب	23-21
ثانيا: أسباب دخول المذهب الشيعي الإسماعيلي إلى بلاد المغرب	27-24
الفصل الأول: قيام الدولة الفاطمية، نظام ومراحل حكمها، وسياستها المذهبية	49-28
المبحث الأول: تأسيس الدولة الفاطمية، ونظام حكمها	36-29
أولا: تأسيس الدولة الفاطمية	34-29
ثانيا: نظام حكمها	36-35
المبحث الثاني: مراحل حكم الدولة الفاطمية في بلاد المغرب الإسلامي	45-37
أولا: مرحلة حكم عبيد الله المهدي	38-37
ثانيا: مرحلة حكم القائم بأمر الله	40-39
ثالثا: مرحلة حكم إسماعيل المنصور	42-40
رابعا: مرحلة حكم المعزّ لدين الله	45-42
المبحث الثالث: السياسة المذهبية الفاطمية	49-46
أولا: قبل قيام الدولة الفاطمية	48-46
ثانيا: بعد اعلان قيام الدولة الفاطمية	49-48

فهرس المحتويات العام

الموضوع	الصّفحة
الفصل الثاني: موقف المالكية تجاه الوجود الفاطمي في بلاد المغرب الاسلامي	65-50
المبحث الأول: فقهاء رافضون للوجود الفاطمي	62-51
أولا: فقهاء رافضون بقلبهم فارون بدينهم	54-51
ثانيا: فقهاء رافضون بالعلم مجاهرون بعقيدتهم	57-54
ثالثا: فقهاء رافضون بالسلاح	62-57
المبحث الثاني: فقهاء مؤيدون للوجود الفاطمي	65-63
أولا: فقهاء متعاطفون مع الفاطميين	64-63
ثانيا: فقهاء موالون للفاطميين	65-64
الفصل الثالث: أساليب مقاومة فقهاء المالكية للوجود الفاطمي ببلاد المغرب الاسلامي	81-66
المبحث الأول: المقاومة الصامتة وأساليب شبيهة بها	70-67
أولا: المقاومة الصامتة	69-67
ثانيا: أساليب شبيهة بالمقاومة الصامتة	70-69
المبحث الثاني: المقاومة العلمية والجدلية	77-71
أولا: المقاومة العلمية	74-71
ثانيا: المقاومة الجدلية	78-74
المبحث الثالث: المقاومة المسلحة	81-79
أولا: تبني المقاومة المسلحة	79
ثانيا: الفتاوى الداعية لجهاد الشيعة	80-79
ثالثا: أسباب خروج فقهاء المالكية مع أبي يزيد	81-80
رابعا: مجريات المقاومة المسلحة	81
الفصل الرابع: أهم نتائج الصراع بين فقهاء المالكية والفاطميين ببلاد المغرب الاسلامي	92-82

فهرس المحتويات العام

الموضوع	الصّفحة
المبحث الأول: بناء المهدية ولجوء الفاطميين اليها	85-83
أولا: التعريف بالمدينة	83
ثانيا: دوافع بناء المهدية	84-83
ثالثا: اكتمال بناء المهدية ولجوء المهدي اليها	84
المبحث الثاني: انتقال الفاطميين إلى بلاد المشرق الاسلامي	87-85
أولا: اختيار وجهة الفاطميين	85
ثانيا: الانتقال إلى مصر	86-85
ثالثا: من أسباب انتقال الفاطميين إلى مصر	87-86
المبحث الثالث: انتصار المذهب المالكي وتراجع المذهب الشيعي الإسماعيلي ببلاد المغرب الاسلامي	91-88
أولا: بداية تراجع المذهب الشيعي الاسماعيلي	88
ثانيا: دور العائلة الزيرية في التمكين للمذهب المالكي	89-88
ثالثا: مظاهر تعاظم المذهب السني المالكي في بلاد المغرب	90-89
رابعا: القطيعة مع الفاطميين	91-90
الخاتمة	95-92
الملاحق	97-96
الفهارس العامة	101-98
فهرس الآيات	100-99
فهرس الأحاديث	101
قائمة المصادر والمراجع	112-102
الملخص بالعربية والانجليزية	115-113
فهرس الموضوعات	119-116